obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
تغريب الأمة الإسلامية
وأضرار التقليد

تمهيد :

انتشر الإسلام فى نصف خريطة العالم الإسلامى بالسلوكيات فهل يغتال اليوم بها، باستدراج أمتنا لتغيير نمط سلوكها وفق النموذج الغربى، وهنا يكون التقليد جريمة نكراء فىْ حق أمتنا سيما وأنه لا ينصب على محاسن الغرب، وحينئذ نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فهل نتحول إلى ذيل يجر فى حين إننا أمة نعتها القرآن الكريم بالخيرية على العالمين ما التزمت أخلاق سيد المرسلين.

إن التشبه بالأجانب وتقليدهم فى غير محمود سلوكهم يصيبنا فى مقتل، حتى أن البعض يقول أننا على أعتاب قرن يسمى قرن تغريب الأمة، وهو أخطر مظاهر الهزيمة لكونها إلغاء للشخصية حين ننخرط فى طوابير الإمعات، وهيهات هيهات.

لقد خلف التقليد أمراضاً وأعراضاً كان شرها مستطيراً على الواقع الإسلامى، فهى تؤذن بخراب الهوية الإسلامية، وتخلق أجيالاً مأزومة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيتحول العرب إلى جزيرة للغرب، ولتحيا الأمة الإسلامية بعد ذلك فى بحر من (الاستسهال) الدينى أو القطيعة مع الدين الناجم عن مسلسل التغريب، وما يفضى إليه كل أولئك.

وموكب التقليد يتبختر اليوم فى كـل دولـة إسـلامية، ولـه جمهور واتباع وسماسرة، وأخشى ما نخشاه أن يستفحل التقليد فيصـبح كالسوس الذى ينخر فى العظام، أو يصل السكين إلى العظم كما حـدث فى تركيا أو فى قطع متجاورات من بلاد الشمال الأفريقى . وفيما يلـى تفصيل المجمل، فنستعرض بعض الأخطار والأضرار التى تنجم عـن التقليد:

الفرع الأول : تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى .

الفرع الثانى : النيل من الخصوصية الحضارية.

الفرع الثالث : الخطر على الذاتية الإسلامية.

الفرع الرابع : جـزاء التقليـد المـرذول .

الفرع الأول
تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى
(الهزيمة السلوكية)

إن مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب إذا تفشت فى بلد أو مجتمع عربى فإنها تلحق بنا ضرراً بالغاً، إذ تقدم صورة مائعة عن المجتمع الإسلامى بسبب انسلاخة عن أعرافه ودخوله فى أعراف ملل أخرى وهاكم بعض مظاهر الهزيمة:

أولاً : المناخ الأوروبى فى البيت العربى [1] :

أهلاً يا أونكل، وأهلاً يا تنت ..

فحين تطأ قدماك البيت تستقبلك سيدة البيت أولاً بابتسامة لطيفة تحييك بما لم يحيك به الله، وقد تطبع قبلة على الوجه، وقد تؤثرك بكلمات عن الود من ثقافتها الأجنبية، تحدثك وتؤنسك، والحائط خلفها مشغول بلوحات بها مناظر أوروبية أو خليعة أحياناً أو لوحات تاريخية منقطعة الصلة بنا، ولا أثر لأثر إسلامى بالصالون الذى يستقبل الضيوف وهو نمط مستورد، والأولاد ينادون أمهاتهم وآبائهم وأقربائهم بمصطلحات أوروبية إنجليزية وأحياناً فرنسية، وإذا دعيت لتناول الطعام فلتجلس على المائدة وتستخدم الأشواك والملاعق والسكاكين بقدر معلوم وإلا أدرجت فى قوائم المخلفين.

والأتيكيت عندهم فن وحضارة فى استقبال الضيوف وآداب الزيارة وتقديم الزهور حتى فى طريقة تقديم الشاى للضيف، وكيفية

---

(١) اللواء الإسلامى فى ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ / ١٠/٩/١٩٩٢م.

القيام والقعود واستقبال النساء والرجال والصبيان، فكل صغير وكبير فى التقليد عندهم محمود، ولا ضير من ذلك طالما التزمنا بأعرافنا الطيبة التى تواكب ديننا، أما أن تتحول سلوكياتنا فى بلدنا إلى محاكاة وخروج على قواعد الشرع فذلك إيذاء لواقع المسلمين، ولا تزال تطلع على كثير من التقاليد الغربية عندهم، فعندهم تخليط الرجال بالنساء يموج بعضهم فى بعض سيما فى الحفلات، مع ما يصحب ذلك من تبرج وزينة من أناس يدعون إلى الإسلام، والتحدث بكلمات أجنبية، وتقديم السيدات على الرجال فى أمور غير مستحبة.

لا يعرف أحدهم شيئاً عن التاريخ الهجرى فهو نوع من الرجعية وتلك بداية التبعية، وهكذا ينشغل أبناؤنا وأهلونا بتقدم مزعوم لا يسمن ولا يغنى ولا يجدى فى مهام اللحاق بركب الحضارة.

وهذه الفتاة أسمها سالى وتلك نانسى أو إنجى وورولا، والجميع مدعون هذه الليلة إلى حفلة تنكرية تظل ذكراها على مدى العام، والفتيات تهدى صديقها فى يوم عيده دمية صغيرة أو كبيرة قد تكون دباً أو غيره، وهناك الاستعداد لاحتفال بالكريسماس سواء كانت الترتيبات للحفل داخل البيت أو خارجه وهلم جرا، والفتاة قد تستقبل صديقها فى حجرتها والفتى كذلك يستقبل صديقته على الأقل فى بيته، وهذا هو العسل المصفى من السلوك الغربى المبهر.

وتلك "لارا" ستذهب هذا المساء مع ابن تنت وجماعة من أصحابه ليشاهدوا فيلماً حصد كل جوائز الأوسكار ويتحدث عن الخيانة الزوجية أو (الخيابة) الزوجية، أما شقيقها فسيذهب إلى مطار العاصمة ليستقبل صديقة له قادمة من إنجلترا كان يراسلها عبر الإنترنت، وسيقوم الاثنين بتمضية وقت ممتع فى أرجاء المعمورة فى بلاد الاقتصاد الفقير.

أما نانسى فقد ذهبت للكوافير لتستبدل تسريحة الأسد بتسريحة الولد، أما دادى فهو فى شغل شاغل اليوم للبحث عن إكسسوارات مناسبة لكلبه الأنيق لعله يفوز فى الغد فى مسابقة أجمل الكلاب، وسيذهب به هذا المساء إلى الطبيب المعالج نظراً لظهور ملامح إكتئاب نفسى عليه !!.

أما بودى فعنده مكتبة فيها كتب قيمة ليس فيها شئ من تفسير القرآن الكريم أو فقه السنة وإنما قطوف مما لذ وطاب عن الغرب وأهله سيما الكاسيتات.

أما تانت لوسى فستدعوهم قريباً عندها فى سهرة عائلية للاحتفال بعيد الربيع فى حفل ذيكولتيه، وسيفعل الديسكو بهم ما يفعل فى تلك الليلة المرتقبة شباباً ونساءً ورجالاً، وهنيئاً لشبابنا المبروك بما عوده أبوه.

وهذه الكلبة "لايكا" تغدو وتروح وكأنها صاحبة السيادة والسلطان فى المنزل وهى فى نعيم مقيم، وهى تلازمهم فى السيارة إذا تجولوا بها ولو أغاظت الفقراء والمساكين.

وهؤلاء وهؤلاء مدعوون من أسرة صديقة حميمة للذهاب إلى إحدى الشواطئ للاستجمام والاستحمام فى عطلة الويك إند وأخذ حمامات شمس جماعية بملابس البحر، وإقامة حفل راقص على البلاج.

وربما يعقب ذلك حفل زفاف للكلاب كما أفادت آخر الأخبار الواردة من اليابان[1].

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٤/٧/٢م.

أما الجد أو الجدة الذين أسسوا البيت فلا تستبعد أن يكون أحدهما أو كلاهما قد زجوا به فى دار المسنين، وبالجملة يشيع فى البيت العربى مناخ أوروبى يظن الواهمون أنه أقصر طريق للتقدم، مع أنه كتقليد الطاووس علاوة على فقدان الهوية، ويأليت البيت العربى يقلد الأوروبى فى محاسنه كأن تكون المكتبة جزءاً من أثاث المنزل وفيها كتب قيمة أو نقلد فى محراب الاقتصاد كعدم التكلف فى المظهر أو استهلاك الطعام بموازين صحية.

وكذلك فى الفنادق :

هى قطعة من أوربا تماماً، ويخيل إليك أنك فى بلد غربى، والفنادق عندنا تملأ العواصم، وإذا رأيت ثم رأيت فهى تعج بمظاهر التغريب تعلوها وتكسوها حتى فى الاستقبال الذى يخاطبك فى الاتصال التليفونى ابتداء بلغة أجنبية، أما اللسانَ العربى فشأنه الامتهان والدونية!!.

صالات أعدت للمراقص وموسيقى وحفلات صاخبة تماما على النمط الغربى وكان النمط العربى أحق بها وأهلها، والعاملات فى الفنادق غاديات رائحات كاسيات عاريات متبرجات بزينة، لا يمت مظهرهن إلى ديانتهن، والطامة الكبرى فى دورات المياه فقد صممت تماما على النحو الغربى الذى لا يعرف الطهارة من النجاسة[1] فإذا أردت أن تتطهر فليكن بالورق وإلى هذا الحد يصل النفاق الاجتماعى فتبلى محاسننا.

---

(١) د. محمد المسير، الفنادق السياحية، اللواء الإسلامى العدد ٤٤.

ثانيا : تبدل القيم أو أمركتها واحتلال منظومة القيم :

أعاصير ثقافية ضارية بلا أصول عقائدية من أصلاب الوثنية والإغريقية نتلقفها، شرائح المهزومين والمأزومين عندنا يولد عندنا تناقضا بين أحكام الدين وواقع المسلمين، حتى نصبح غرباء في أوطاننا، يشيع صورة أقرب إلى أن الانحلال الغربى الذى يوهن العزائم ويبلد القلوب فتأتى الضربة فلا تجد فى الجسم مناعة تقاوم، فإذا بنا ذات يوم وقد خسرنا الدين والدنيا معا وخسرنا أمتنا[1].

تتعطل منظومة الأخلاق التى عرفناها من خلال ما أوتى النبيون من ربهم، ورسولنا الكريم ﷺ فصل لنا مكارم الأخلاق التى ترفرف على مجتمعات المسلمين، وقد ورد عن السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ أن مكارم الأخلاق عشرة قد تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه، وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أحب ورأسهن الحياء[2].

أما الحياء الذى يتصف به كريم الطبع فهو شعور النفس بانقباض فطرى من السيئة والمعصية . ومن كان على هذه الصفة نجده لا ينأى عن القبائح فحسب، بل لا يصر على رؤيتها فى غيره . كما تتولد عنده الحاسة الخلقية والغيرة الإيمانية، وذلك هو أقصر طريق للحفاظ على صحة الأمم النفسية والخلقية والاجتماعية .

أما فى شريعة الأجانب فلا غضاضة أن يأتى الإنسان فعلا يجرح الحياء ويخزيه، ومن ثم فلا عجب أن ترى رجلا يقبل زوجته

---

(١) مصطفى محمود، مقال بالأهرام ١٩٩٢/٥/٢

(٢) وهى : صدق الحديث، مداراة الناس، وصلة الرحم، حفظ الأمانة، التذمم للجار، إعطاء السائل، المكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، الوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء.

أمام الآخرين ولفترة طويلة وهذه حسناء تتعلق بفتى فى مركبات النقل العام أو الطرقات والمنتديات، وفتى يداعب فتاة فى أماكن حساسة من جسمها على أعين الناس، والقبلات المتبادلة بين الرجال والنساء عرف معروف، وتبادل للزوجات والأزواج فى المراقص مألوف، وصور فاضحة فى الإعلام بكل جراءة، والتماثيل فى الميادين تجسد العورات للجنسين، أمور كلها لا يرى الغربيون فيها من حرج .

والفيلم الأمريكى يقدم لك حسناء فى أوضاع مخلة أو مخجلة مع صديق لها على أريكة وأمام غلامها المراهق أو كريمتها من آخر

تضعضعت قيمة الأخلاق فى نفوس الكثير من المسلمين "مثلما تضعضعت عند كثير من الغربيين فقد فصلوا مجالات حياتهم هناك عن الأخلاق، فصلوا السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والأسرية بما فى ذلك الجنس نفسه" فلم يعد لشئ من ذلك كله علاقة بالأخلاق[1] .

إن انهيار منظومة القيم المتوارثة تحت ركام القيم الوافدة هو أمر تسود له الوجوه لأنها من مجتمعات تختلف عنا بالكلية، لأنها تخلت عن المودة إلى المادة ودخلت فى رحاب الإباحة باسم السماحة، ولأن منظومتنا الخلقية فريدة فى قيمتها وتفصيلاتها، فأهم مصدر للسعادة والهناء هو انسجام واقع المرء مع معتقداته، حيث يشعر بارتياح وبهجة كلما تخطى عقبة من العقبات التى تحول بينه وبين قيمه العليا، فالسعادة لا تكون إلا فى جو يسوده الأخلاق، وتعلو فيه إشراقات الروح[2]:

ودعاة الاقتباس المبهورين بكل ما أنتجه غربهم يودون لأعرافنا أن تتوارى إلى الظل عشية الاستسهال الدينى المحمول إلينا برا وجوا

---

(١) مجلة المنار، من الوطن الكويتية ١٩٩٨/١٠/١١ العدد ٨١٣٨ الأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٢٩ ٢٥٨٤ لسنة ٣٧

(٢) عبد الله الشبانه، (مرجع سابق).

والذى لا يمت فى سلبياته إلى الطبع المهذب، وإنما للجذور الصليبية الغربية الممزوجة بالوثنية واللادينية.

وتلكم مباراة بين بعض القنوات الفضائية والعربية يشهدها سكان المعمورة قاصيهم ودانيهم لإمتاع المشاهدين ببرامج الإفلاس الفكرى، بعرض المفاتن التى تناقض مع ما أوتى النبيون من ربهم، حتى أن بعض المجلات أسمته (سباق التشلح) وليسُ التسلح، فليس هو سباق محمود فى الثقافة الترفيهية وإنما هو سباق فى عرض الحسناوات والفتيات الجميلات بلباس يجعلهن أشبه بالعراة ناهيك عن عروض الرقص وأجمل المراهقات، ودعواهم هو الانفتاح الفكرى والحرية والتقليد للغرب المتقدم [1].

كم تجر علينا التقاليد الوافدة استعمارا اجتماعيا عجز عنه الاستعمار العسكرى، فتتخبط الأمة المسلمة مع تبدل القيم التى تبدأ من تعلم الطفل لما يقال بالثقافة الجنسية، فإذا ما حدث استلطاف بين الجنسين فى الرحلات كان هذا معاكسة بريئة وليس عشقا أو غراما إن لم يجر إلى الزواج القسرى لإسدال الستار على الفحشاء[2].

وهذه سلوكيات لا مرحبا من تلك الحفلات التى تنقلها إلينا الكاميرا فى المنازل وسط مقاعد المتفرجين وهو الرقص الخليع والهزيل والذى تنعكس إثارته السلبية على جماهير الشعب [3].

وهذه رسالة بعثت بها الدكتورة/ آمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر إلى جريدة الأهرام قالت فيها: دار حيث بينى وبين إحدى بناتى

---

(١) محمد عبد الرؤوف زياك، مفكر سورى .
(٢) سالم البهنساوى،الأنباء الكويتية ٩٨/٥/٢٨
(٣) الأهرام المصرية فى ١٩٩٩/٨/١١ص٣١

ونحن نشاهد إحدى أغنيات الفيديو كليب، وهى سيدة ناضجة ومتزوجة وتعيش فى إحدى الدول الأوروبية، إلا أنها تعجبت مما يدور فى مشاهد الأغنية العربية ومما يقال من كلمات ليس لها أى رابطة مما يحدث ويدور من رقص وإيقاع كأنهم مجموعة أفاعى تتلوى دون معنى أو فن يرتفع بالذوق أو مشاهدة تمتع العين، وتذهب الكلَّ والمَلَلَ عن النفس التى يطالب الإنسان بالترويح عنها، ولكن أىَ ترويح فيما نشاهده ونراه من أمثال هذه الأغنيات التى تخلو من أى تقدم مما عرفناه ونعرفه فى ثقافتنا الفنية وجمالها من كلمات راقية ترتفع بالذوق وألحان جميلة تنتعش بها النفس، وعبق جميل يملأ الفؤاد ويزيد البهجة فى حياة الأسرة، ثم حدِّث ولا حرج عن مظهر الفرق التى تصور أغنيات هذا الفيديو كليب فى بلاد بعيدة، أو قريبة تتحدث عن مصادرها بكل فخر وتقدير واعتزاز !! وكأننا جلبنا للمشاهدين ما يستحق الحمد والشكر والتقدير العظيم.

ملابس هؤلاء المصاحبين لأغنية الفيديو كليب، ونعم أقول ملابس من المجاز بل أنها فى الحقيقة قطع قماش متناثرة على جسد الفتيات، تكشف أكثر مما تستر، مع هذا الأداء الأفعوانى وهذه الموسيقى المُصاحبة الخالية من أى إمتاع لأذن .

صدقنى عزيزى القارئ لست من أهل التطرف ولا التزمت ولا الحرمان من التمتع بالحياة، ولكنى أخاف على قيمنا الجميلة التى تحمى بناتنا وشبابنا من هذا الإسفاف والانحدار فى الذوق، وأقول يا سادة يجب أن ندرك أن لكل شعب ثقافته وتقاليده وعقيدته، وخصوصيته، وأن هذا التقليد الأعمى يفسد الذوق العام والخاص لأولادنا وبناتنا، وأنه مسخ

لهويتنا بغية أن يفسدنا فى مظهرنا وثقافتنا وتقاليدنا وميراثنا الفنى والحضارى ودعونا من فلسفة تقليد (الغراب للطاووس) ولنبقى ونحرص على ريشنا الجميل قبل أن يقع ولا نستطيع أن نزرع بدلاً منه، فالشرق شرق والغرب غرب .

ثالثاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المرأة المسلمة :

كم يتحسر المسلم الغيور على ما آل المرأة العصرية عندنا، فقد غلبت عليها شقوتها على يد نخبة من أساتذة التحريض والتلقين ومن ورائهم سماسرة التغريب، يدعمون الإباحية والتحلل وترويج الأزياء الغربية وأساليب التعرى، الأدب المكشوف وكيفية إخراج المسلمة من بيتها على غير سنة نبيها، وهو ما أصاب امرأتنا بأوضاع نفسية مقلقة ويهدد فتياتنا الملتزمة ويغويها بالسفور وكشف المستور .

فتلكم الكاسيات العاريات، تلبس الثوب الضيق الذى يبدى تقاطيع جسمها، أسفلة ضيق لا تكاد المرأة تمشى فيه، ومما يزيد فتنة وضع فتحات جانبية تظهر ساقيها وجزء من فخذيها [1].

كثير من الأخوات المسلمات يرضعن أولادهن بحضور الرجال الأجانب وتكشف ثديها وترضع طفلها بدون حياء، وربما كان زوجها جالساً.

وهاكم امرأة تتصدر الشاشة الفضائية تتحدث عن الإسلام مع أنها تتنكر لزيه، وإذا سألها سائل على التليفون الساخن لماذا أنتى

---

(١) انظر اللباس والزينة، تأليف سمير عبد العزيز ص٣٦.

حاسرة الرأس أجابت بإجابات ماكرة بعيدة عما وجه إليها، وهناك كتب تحمل عنوانا إسلاميا وهى تضرب الإسلام فى مقتل، مؤلفوها أشبه بالمنافقين فى صدر الإسلام، ومع ذلك فهى تتطلى على البسطاء فى الثقافة، ومن أراد أن يشاهد المذيعات الفاتنات وهن يظهرن بملابس أشبه ما تكون بقمصان النوم فعلية بقنوات فضائية عربية متألقة، ألقت وتخلت عن مظاهر الاحتشام من أن ملاكها يدعون إلى الإسلام، وما هو أدهى وأمر تطرح موضوعات للنقاش كلها تروج للإباحية كالعادة السرية والعجز الجنسى ليلة الزفاف بدعوى الوعى فى أمور فطرية يتساوى فيها الإنسان والحيوان، والنتيجة هى الويل للأجيال .

وفى المناسبات الاجتماعية وفى الفنادق الفخمة تلبس النساء أفخر الثياب، ولكنها القصيرة والمكشوفة والفاضحة رغم اختلاف الأعمار والأجساد وهو ما يؤذن بمرض التوحد مع الغرب .

ومن دواعى الأسى والشجن أن تجد نساء محجبات وبناتهن بجوارهن بالملابس الضيقة أو الكاشفة وفى سن حرجة، وكم تلقى عروس اليوم المسلمة من العنت والحرج حيث تتحول للبحث عن فستان للزفاف ساتر للعورات فلا تجده إلا عارى الأكمام، مع أنه مما عملت أيدينا !!.

ولا غضاضة اليوم أن تجد الصور العارية فى كليات جامعية باسم الفنون، يتدرب عليها الطلاب من أجل مستقبل أكثر تألقاً [1].

ومفهوم الحب بين الفتى والفتاة على الطريقة الغربية كارثة أخلاقية تضرب قيمنا عن يمين وشمال، وإذا طوفت بالمنتجعات

---

(١) مجلة النور .د.محمد رافت عثمان العدد ٦٥٤

السياحية فى الشتاء والصيف فى كثير من الدول الإسلامية يخيل إليك أن المسلمين قد تركوا بلادهم للأجانب، وبالرغم أن عمار هذه الأماكن كلهم أبناء العرب، ويا حسرة على العباد الذين تخلوا عن قوميتهم ويساومون على هويتهم بثمن بخس .

وهاكم امرأة مسلمة فى بيتها، تروح وتغدو بملابس النوم، وتجد أخريات يبدين زينتهن بلا حدود أو قيود سيما أمام المراهقين الذين صاروا يطلعون على عورات النساء .

وإذا طرقت مجتمعات المترفين فى منتدياتهم تجد التغريب قد أحاط بهم سلوكيات تنحو نحو تحقيق الميول الجسدية التى قد يقوده بعد إلى منافذ غير شرعية، كل أولئك نتاج المسلسلات التى تنكب على موضوعات الخيانة الزوجية والمطاردات الجنسية والمراهقات الصبيانية والانتهازات المادية وكله انعكاس ثقافات سطحية سانجة[1] هل تحريف أم تجريف للقيم الإسلامية، وحدث عن الأسلوب السافر فى التهكم على رجال الدين بل والملائكة إسرار وجهارا ولا حرج !!.

وها هى البنوك المنبثة فى بلادنا العربية الإسلامية تكيد للفتيات المرتديات للزى الإسلامى فلا تقبلهن للعمل لديها وهو أمر تسود له الوجوه، وهاكم اقرءوا ما طالعتنا به الصحف والمجلات عن مأساة أول طيارة تعمل بكفاءة فى شركة طيران عربية، ارتدت الزى الإسلامى ففصلوها، بعد أن بلغت عدد ساعات الطيران ١٩٠٠ ساعة إلى مختلف دول العالم، أعرضت عن عروض انهالت عليها للتمثيل والأغراء والإغواء، وهنا أفتى مفتى مصر المسلمة بأنه ليس من حق صاحب

(١) د. يسرى عبد المحسن الأهرام السم فى العسل ٢٠٠١/١٢/١٢م.

العمل فصل المرأة بسبب ارتداء الحجاب الذى يعد فريضة على كل مسلمة لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[1].

إن المحاسن عندنا بحور بلا شطآن، واقع زاخر وفاخر وأهل الغرب لا يزالون يحسدوننا عليها بعد أن توارت عندهم وصارت بضاعة مزجاة. إن أعرافنا كلها عذب فرأت، وما يخالفها ملح أجاج فهل من غيور فخور بدينة يعيد إلى أعرافنا وجهها الوضاء.

الاختلاط الضار :

الاختلاط العائلى له إيجابياته وكذلك سلبياته، فمنه الممدوح ومنه المذموم، وكمبدأ ولا غضاضة أن تتزاور الأسرة المسلمة فذلك مدعاة للترابط والقوة والألفة ولكن بشرط التزام العرف الإسلامى، أما أن تجلس النساء مع الرجال تكشف كل امرأة عن ساقيها للناظرين أو جزء من صدرها أو ظهرها أو ذراعيها، وثم يسود جو من الهرج والمرج حتى ساعات متأخرة من الليل، وأحاديث ودية وضحكات وقفشات ومزاح مكشوف منتهاه أن يهدد الهناء العائلى لكلا الأسرتين، وليس هذا مما يجرى فى صالون البيت المسلم حيث المصحف فى كل الأركان، ورغم أن الرجل الشرقى غيور على دينه وزوجته على خلاف الغربى الذى تضعف عنده الغيرة الجنسية كإحدى خصائص وخسائس لحم الخنزير الذى يلتهمه كلما تتوق شهيته .

لقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف الأسرية أكثر شيوعا من الحالات التى تتعرض فيها المرأة للاغتصاب

---

(١) مجلة لها العدد ٨٠ فى ١٤٢٣/١/٢٠هـ .

لأن الذئب يستخدم مركز القوة فى فرض سيطرة على المرأة، ولذلك يحذر علماء الطب النفسى فى المجتمعات التى يكثر فيها الاختلاط من الرجل الذى تشعر المرأة بأنة يعتدى على خصوصياتها أو يحاول التقرب منها.

الرحلات الجامعية وما يكتنفها :

الحياة فى رحاب الجامعة هى لتعلم العلم، أم لتعلم الرقص؟ المراهقون والمراهقات أصبحوا أولياء بعض يخرجون للتنزه فى رحلات جماعية جامعية بل أحيانا فى معسكرات شتوية أو صيفية بدعوى بناء الشخصية والتدريب على الاستقلالية، حيث يمرح البنين مع البنات فى رحلات خلوية لا ندرى ماذا يفعل ببعضهم البعض مهما كان الرقيب مترقبا، إن الإسعاد الحقيقى للفتى والفتاة هو الذى يكون فى حدود المتاح والمباح من شرع الله، وليست السعادة التى قد تجلب ضرارا بالفتاة أو الفتى وتسبب جروحا لا تلتئم على مر الزمان، ولن ينفعهم يومئذ دعاوى الداعين لثقافة الانحلال، وهاكم شهادة من الذين جربوا الاختلاط .

والزواج العرفى السارى : هو النجم الطارق- يطرق الأبواب ليؤذن له، وقد ذاع وشاع سيما بين طلاب وطالبات الجامعات لإضفاء الشرعية الكاذبة على حب المراهقين والمراهقات إنصياعاً للنموذج العربي- وسرعان ما تبدأ – رحلة الانتقام من الزوج السارق للفتاة بدون مأذون وشهود وولى أمر ومن غير شبكة ولا مهر . وأصبحت هناك ورقة مطبوعة يشهد عليها اثنان غير مؤهلين . ويجد الأهل فجأة وبغته ابنتهم البكر الرشيد زوجة وتبدأ رحلة البحث عن المتاعب وعن

مخرج من هذه الفضيحة الطارئة التى جلبتها لنا السلوكيات الأجنبية الوفية !! [1] .

السكرتيرة الحسناء لدى المدير المتأنق :

الجمال والدلع والمواهب الخاصة جداً أهم شروط الفوز بالوظيفة ولذلك فهى مهنة سيئة السمعة، وهى جزء من ثقافة فاسدة، وأزمة مجتمع تنتشر فيه الأفكار والاتجاهات اللادينية [2].

فى مكتب الرئيس تلبس أفخر الثياب وأحلى العطور، تتزين بزينة الكواكب تقلد الأجنبيات، فتختلى بالرئيس مع تبال المودة والإخاء المزعوم، ناسية كل عرف إسلامى، تخضع بالقول أحيانا، وتارة تجنب، وحين يعود المدير إلى منزله فكم هى عبارات الود والحنان الدافقة التى رانت على مسامعه، نعم هناك رؤساء ملتزمون ولكن آخرون دون ذلك . إن السكرتيرة أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتعلق بها قلب الرجل وتشتهيها النفس، إذا هى أخلت بكرامتها وخضعت بالقول وأثارت الغرائز [3]، فعلى سبيل المثال: فى كندا أدانت محكمة حقوق الإنسان فى كيبيك مدير إحدى المدارس بمنتريال وحكمت عليه بدفع تعويض كبير لفتاتين مارس مدير المدرسة عليهما تأثيرا كبيرا، وكانت إحداهما سكرتيرة خاصة له، دأب على مغازلتها بكلمات تفوح منها رائحة العدوان الجنسى وتفصح عن تربص الإيقاع بها، مما سبب للضحية قدرا من الإهانة والقلق والشعور بالعدوان [4] .

---

(١) النبأ الكويتية فى ٢٠٠٣/٦/١ .
(٢) د. أحمد النكلاوى، مجلة الخميس ٢٠٠٤/٤/٨م.
(٣) محمود عمارة، اللواء الإسلامى فى ربيع الثانى ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/١٠م .
(٤) الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١٢م

إن مناخ العمل فى الإسلام لـــه روح وريحان، ومكان العمل هو جنة نعيم، وحقل إنتاج، والشباب المسلم ألوف مؤلفة تتململ من البطالة ولكنه التقليد.

رابعاً : تهميش الدين فى ديار المسلمين :

هل يصبح الدين مجرد حصة أو حصتين تملى على التلاميذ فى ختام اليوم الدراسى وهم يتثاءبون وعلامات الإجهاد بادية علـــيهم مـــن عناء اليوم المشحون ؟ ناهيك عن أنها دراسة تـــتم دون معايشـــة بـــين التلميذ والأستاذ، ولقد صار الدين فى إعلامنا مجرد فقرة أو برنامج أو عمود يكتب من قبيل تشكيل الوجه وتنويع المواد وسد الذرائع [1].

هل يتضاءل دور الإسلام على غرار الأديان الأرضـــية التـــى أفلست فى اجتذاب الشباب مواجهة المادية المتأججة التى أشـــربوا فـــى قلوبهم، وتصب فى عروقهم وتصيبهم بفقدان التوازن النفسى، بل وصل الأمر إلى ظهور ديانات جديدة تشايعهم فى اتباع أهوائهم، أمـــا دعـــاة التغريب فقد حصرت صدورهم أن يلقى الدين الإسلامى على مســـامع الدارسين، مع أن سلسلة الإسلام لو انقطعت فى أى بلد عربى عـــام أو بعض عام، لما وصل حاكم مسئول أو قائد أو قاضـــى فـــى أى دولـــة إسلامية إلى منصبة أو منصته.

فكم من قيادى أو حاكم تربع علـــى العـــرش مـــدين للمســـيرة الإسلامية المتدفقة، تلك المسيرة التى حافظت على السلطة حتى وصلت إليه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٨٩/١٠/٢٩

ولكن دعاة التنوير والتبوير والإبداع لا يكفون عن الدعوة إلى تجفيف الروافد أو إبعاد الدين عن مواطن كثيرة فى التربية والثقافة، بدعوى مسايرة علوم الحقائق المجردة، مع أن التربية الإسلامية هى التى تحض على التطور العلمى، وكل رواد الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرهم من نوابغ العلماء المسلمين الذين علموا العالم، وعنهم حملت الحضارة الغربية، وواصلت عطائها[1].

إن الدين فى بلاد المسلمين هو أثمن ما يملكون، كالجواد الأصيل الذى لا يزال إلى اليوم عدة المتسابقين شريف الأصل والآباء .

إن سادتنا وكبراءنا لو شبوا يسمعون كلام الله فى بيوتهم وتنعموا بثقافة دينهم لما صدر قانون فى أى بلد إسلامى يبيح الخنا أو يقنن الزنا، ولما انكمش دور المسلمين أو شاع بينهم الاستهتار الدينى . إن ديننا يقدم للبشرية حياة طيبة خالية من البؤس النفسى أو التردى الخلقى، يهدى إلى الرشد ومن ثم كان تاريخه حافلا بالقيم والشيم التى تبدد كل أمراض النفس.

إن لكل أمة أعرافها، ففى أفلام اليابانيون تجد التحفظ بادياً، فلا ترى فيها القبلات التى منتهاها غرف النوم، فهل نضع اليابان فى قفص الاتهام بتهمة الرجعية والخضوع لاستبداد الإسلاميين؟!.

التشدق بالمجتمع المدنى الواعد [2]

عقلية قاصرة تسعى لهدم الأسرة – من ورائها دعاة التقليد الأعمى لكل ما هو غربى، يعملون جهد إيمانهم لإفساد الحياة الزوجية

---

(١) الأهرام فى ١٩٩١/٨/٢م

(٢) اللواء الإسلامى ٢٠٠٣/٦/٢٦م

وشيوع الطلاق بدعوى الإصلاح، منح نصف ثروة الزوج للزوجة المطلقة. وهى فكرة تنقل من المجتمع الأمريكى أو الغربى دون فهم أصول العلاقة الزوجية فى ظل الإسلام، كنقل للمرأة كامل حقوقها بما لم تصل إليه الشرائع الغربية، فالمرأة عند الطلاق تحصل على الصداق كاملاً إلى جانب حق النفقة وأجر الحضانة وأجر المسكن إن كانت حاضنة، والزواج المدنى يؤدى إلى ظلم الزوج وإثراء الزوجة بلا سبب، لأن الرجل هو الذى يسعى إلى الكسب والمعاناة فى كبد . كما أن من موبقاتها طلب الطلاق وهجر الأسرة سيما عند ضعاف النفوس، مع أن المرأة فى الإسلام حظيت بحقوق لم تحظ بها امرأة الغرب، فلها ذمة مالية مستقلة وهى حرة فى التصرف فى مالها كيفما شاءت، بخلاف التشريعات الغربية التى يكون فيها المال مشتركاً بينها وبين الرجل ولا يحق لها التصرف فى مالها إلا بموافقة الزوج.

خامساً : القوانين الغربية تصدم الأحاسيس الإسلامية :

فلقد انخرطت فى التشريعات العربية الإسلامية ثلة من القوانين الغربية التى تمس الأخلاق والقيم، تصدم الأحاسيس والشعور، فمن يضبط زوجته مع عشيقها فى وضع مشين فيمعن فى قتلهما، فجزاءه أن يكون من المسجونين ملازماً للعتاة والمجرمين.

والناموس الغربى "تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن" فالزوجة الثانية محرمة ومجرمة، وهذا ما حل ببعض بلادنا المسلمة كتركيا، نعم تعدد الخليلات والصديقات أما تعدد الزوجات فلا مرحباً به!! والزوج التركى إذا اتهم بتعدد الزوجات يدرأ عنه العذاب إذا قرر

أن الزوجة الثانية عشيقة لـــه!!، وحينئذ فلا تثريب عليه، ولكن يظـــل العنت يلاحقه بالنسبة للأولاد من تلك الزوجة، وأحياناً يلحقوهم بالزوجة الأولى التى لا يعترف القانون إلا بها وليذوقوا وبال أمرهم!!.

لقد عميت عليهم حكمة الحكيم العليم فى تشريع تعدد الزوجات، أقلها التنفيس الوجدانى المشروع عن الرغبات الجامحة فى إطار مـــن الفضيلة والقيم، فتتعالى المجتمعات عن الموبقات التى هى آذان بخراب الحضارات.

ودول إسلامية ساوت بين الجنسين فـــى موضـــوع الطـــلاق، فصرفت النظر عمن يكون بيده عقدة النكاح، وبعضها فعل كـــذلك فـــى الميراث، مع أن تقدير العزيز الحكيم فى توزيع الأنصبة مسطور فـــى كتب تملأ المكتبات.

كم كان الاقتباس التشريعى فى مواطن كثيرة موجعـــاً وأليمـــاً، وطال عليه العهد حتى صار ضيفاً ثقيلاً ولا مرحباً به عنـــد أصـــحاب الفطرة السليمة والذوق الرفيع.

نعم سيظل غريباً على مجتمعات المسلمين، تلك القوانين التـــى تجعل الزناة فى الغرفات آمنين، والمفروض أن يشهد عذابها طائفة من المؤمنين، ألوف مؤلفة من الضحايا الأبرياء سيما المراهقـــات دفعـــوا الثمن باهظاً بسبب تفاهة العقاب المنقول إلينا من بلاد الحرية والإباحية.

فالتشريعات المقتبسة عن الغرب تفرض عقوبات تافهـــة علـــى الموبقات، كانتهاك المحارم واغتصاب الإناث، أو تسقط بالكلية حدود الله فى مجالات كالسرقة وشرب الخمر، ومن ثم تشجع عقوبة السرقة على

السرقة وتعلم فنونها على يد أكابر مجرميها القابعين وراء القضبان، ناهيك عن انتشار الأمراض بين أصحاب السجن، كما يصبح المجرم عبئاً اقتصادياً على المجتمع، وكم يود كثير من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة أن تقطع أيديهم، ليخرج إلى سعة الحياة بدلاً من ضيق غياهب السجون.

نمط الجريمة الغربية يحل قريباً من دارنا :

الجريمة الغربية ما سمعنا بها فى آبائنا الأولين ولكنها طرقت أبوابنا، فهاكم أبناء مردة يضربون آباءهم وأمهاتهم أو يسفهون آراءهم، وهناك من يقتلون ذوى القربى طمعاً فى الثروة، وجرائم شائكة تهيم فى أوطاننا، مسلسلات الشر المحمولة إلينا تقص علينا أوجه العنف الثاقب، ومن ثم تكاثر عندنا حملة المطواة والسكين، يجترأون على القوانين.

جرائم التردى الخلقى والانغماس المبكر فى نوادى المنكر، اغتصاب النساء من قبل الشباب ويبدأ التحقيق ولا ينتهى فلا يعود الشرف إذا ذهب، وتبريرات جريمة الزنا، والإيماء للفتيات المراهقات بالزواج بعيداً عن عقدة السلطة الأبوية، وهذا حادث ينشر فى الصحف عن فلاحة تخون زوجها بإتيان الفاحشة مع حبيب لها، وكانت الفلاحة فى الماضى هى مجمع القيم، ومحط الأنظار فى التحلى بالأخلاق والتخلى عن المنكر يتصدر كل أولئك إباء العار، فكانت تفضل الموت على ألا تتهم فى شرفها وعرضها، وهذا ناظر مدرسة معقود عليه الأمل فى إحياء جيل جديد، يضبط متاجراً فى المخدرات والمحرمات، أو موظفاً فى أوكار الملذات، وتزداد الإحصائيات يوماً بعد يوم، وهذا دأب المجتمع الغربى، الذى نولى وجوهنا شطره، ولا ندرى ما يخبئه

الغد للآمنين من ويلات المجرمين مع أن شريعتنا فيها الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى .

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

إن اللصوص عندنا اليوم تسرق لتحتسى الخمر أو تتغول فى المنكر، لا من أجل لقمة العيش ولكن من أجل أن يسمن الكلاب.

لقد قلدنا أوروبا فى كل شئ، وما دامت نسبة الإجرام هناك صاعدة، فلتكن عندنا بدورها كذلك.

نعم الشرطة بالمرصاد تتعقب اللصوص دون هوادة، ولكن إن تمكنت منهم فهم يحاكمون وفقاً للنموذج الغربى فينزلون ضيوفاً على الدولة من مال المواطنين، وربما أخلى سبيلهم قبل الأوان فى أحد أعياد النصر – ويومئذ يفرح المبطلون.

ودعاة فصل الدين يتطاولون فى البنيان :

هم اليوم أكثر نفيراً، وتلك هى الطامة الكبرى، فلم يحدث فى الإسلام فجوة بين الدين من ناحية والعلم من ناحية أخرى كما حدث فى أوروبا، بل ديننا هو العلم يحض عليه ويكفينا فى هذا آية، أول كلمة بدأ بها القرآن الكريم وهى قوله تعالى "اقرأ".

فأقسى ما يؤلم المسلم فى بلاده أن تنحى الدولة الإسلامية دينها عن أوضاع مجتمعها واستبداله بحلول من صنع عقول بشرية : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه:٢٤]، فلم يقل أحد أن الدين ورجال الدين قد أساءوا، فهم جند مجندون لإعلاء كلمة الله، يعملون فى إطار ذلك الدين القيم بلا كهنوت أو غرض، ومع ذلك يتسرب إلينا ذلك العفن الوارد من الغرب مبدعة العلمانية أو اللادينية،

وكان لنشأتها فى أوروبا مبررها، أما عندنا أولى الميادين التى داهمها الترغيب وأستحوذ عليها كما أسلفنا مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى ذلك الميدان أسيراً للثقافة الغربية بل وعلى يد نخبة من أبنائنا الذين أشربوا فى قلوبهم حب الغرب، وأصبح كل همهم هو النقل والاقتباس متناسين اختلافات البيئات وتميز الإسلام بشريعة خاصة ذات ينابيع عذبه، فالتبعية الثقافية للغرب مبثوثة فى كثير من المناهج الدراسية التى تدرس فى العالم الإسلامى، ويتكون من مجموعها مركب فكرى وعقائدى يخالف روح الإسلام[1] أثر على السلوك، بل أثرى السلوك المخالف،، دون أن تكون الدراسة متبوعة بالنظرة الإسلامية الرشيدة التى تميز بين الطيب والخبيث[2].

ودعاة الفقه التقدمى : وهؤلاء لم يقرأ أحد منهم كتاباً فى الفقه والحديث، فكيف يجتهد لنا من يحكم فى شرعنا من لا يفهمه، يا للعجب إذا اتخذ الناس رؤساً جهالاً، ولماذا تقليد الغرب فى قضايا يشكو هو منه أو يتجرع غصصها.

سادساً : لغة البيان تنتقض من أطرافها وتشكو جحود أهلها:
(حروب الهوية)

"**سوبر ماركت**" ومعناها (محل بقالة)، "**كتشن ماشين**" ومعناها (ماكينة مطبخ)، "**روستورانت**" ومعناه (مطعم)، "**الفلترة**" ومعناها (التصفية) "**التشييك**" ومعناها (التفتيش والمراجعة)، "**التفنيش**" ومعناها

(١) وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ترجمة د. محمد حب الله، ص ١٢١
(٢) د. أكرم العمرى، مهام أساسية أمام الجامعات الإسلامية، مجلة الأمة ١٤٠٣هـ.

(إنهاء الخدمة)، "الفنشنج" ومعناها (التشطيب)، "تست" ومعناها (اختبار)، ولا تنسى أن هذا "أونكل" وهذه "تانت"، نصر سنتر، مول وهلم جرا[1].

وفى أعياد الميلاد التى تقام للصغار لا بل حتى للكبار المتصابين يقال لهم "هابى بيرث تو يو" ومعناها عيد سعيد، وهاكم بعض المذيعين يستخدمون مصطلحات أجنبية ناهيك عن الأخطاء النحوية التى تتألم لها لغتنا الجميلة، وأصحاب الوجاهة وغير الوجاهة يطبعون كروتهم بالإنجليزية وحدها وكأنهم يودعون العربية التى نشأوا عليها وترعرعوا فى ظلها.

لغتنا الجميلة بين اللغات هى حسناء الحسناوات وأغنى الأغنياء، فهل تتحول فى دارها إلى حسناء عند أعمى أو إلى ضرة للغات الأجنبية، إنها اللغة التى يكتب بها أو يتكلم بها ٢٠٠ مليون عربى ويهفو إليها ألوف الملايين من المسلمين الذين يتقنون جزءاً منها لأداء نسكهم، وهى ليست حاضراً فحسب، بل هى تراث ضخم فخم فى العلوم والفنون، وكانت لغة عالمية فى الماضى بالمعنى الدقيق.

فى فرنسا هل تعثر على فرنسى يتكلم الإنجليزية مهما أجادها، وكذلك دأب الإنجليز مع الفرنسيين، وهذا ما دعا شاعر النيل عندنا أن ييئس لما تتعرض له لغتنا من جحود من أهلها وانتقاض من أطرافها فقال:

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٩٩/٩/٢١م

أيهجرنى قومى عفا الله عنهمو إلى لغة لم تتصل بسواة
سرت لوثة الأفرانج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى سبيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

ندوات ومؤتمرات حول أزمة لغتنا وتأثير ذلك على الشخصية والهوية والقومية[1].

إن دراسة الطب عندنا صارت بالإنجليزية، هل يعكس هذا عجزاً فى لغتنا، أم انهزاماً ثقافياً وجحوداً من جانب علماء الطب مع كونهم مهرة فى فنهم وفهمهم، وما كان ينبغى لهم بدورهم أن يفترسهم الأسر الثقافى، فالقانون من قبل كان يدرس فى بلادنا بالفرنسية ولكن أساتذته كان سعيهم مشكوراً حتى صارت دراسته بالعربية، وبالعربية الفصحى، لأن المصطلح الأجنبى فى علم من علوم يظل من معوقات الفهم عند الطلاب ومتابعة الأستاذ على الوجه المأمول .

من أروع ما نشرته جريدة الأهرام مقالاً للأستاذ فريد تدرس بتاريخ ١٩٩٨/٩/٦ بعنوان مدارس لغات تجريبية، أم مدارس ضرب للهوية، وضرب لنا مثلاً بحفيده التلميذ بالصف الثالث الابتدائى بإحدى مدارس اللغات، حين ذهبا سوياً لشراء بعض الأدوات المدرسية من إحدى المكتبات، وبعد أن وقع اختياره على ما وقع، طلب البائع منه – مداعباً له – أن يجمع ثمنها بعد أن سجلها له على ورقة صغيرة، فرد عليه الصبى بأن يعيد كتابتها له باللغة الإنجليزية حتى يمكنه جمعها، لعدم استطاعته أن يجمعها بالعربية، التى اختارها رب العباد كما يقول صاحب المقال – لغة القرآن الكريم تشريفاً للعرب وتكليفاً وتعظيماً !!.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٠/١١/١٧م، مقال غربة اللغة العربية.

هذا ما سجله المثقف العربى المصرى المذكور مع أنه من غير المسلمين.

والمصاعد الكهربائية فى المنـــازل والمكاتـــب مرقمـــة باللغـــة الأجنبية، مع أنها مصنوعة بأيدى عرب فى بلاد العرب، ومن الطريف أنه زارنى ذات مرة شيخ من قراء القرآن الكريم وعندما استقبلته وجدته متعباً ومنهكاً من طلوع السلم فسألته لماذا لم تصعد فى المصـــعد قـــال دخلته فوجدت الأرقام فيه والبيانات الأخرى باللغـــة الأجنبيـــة فـــأثرت السلامة. وفى المطاعم العربية اليوم إذا دخل العميل سألوه: هل تريـــد الطعام وفقاً لنظام الكارت أو المينى، وعندهم "تشيكن" ومعناها دجـــاج صغير وستيك وروستو، وفيليه، مع أن كل هـــذه المصـــطلحات لهـــا بالعربية مقابل أخّاذ، ولكن المحاكاة بدورها مرض أخّاذ. وبالأمس كما أسلفنا حاولت ثلة من المتفـــرنجين أن يســـتبدلوا الحـــروف اللاتينيـــة بالحروف العربية كما فعل أتاتورك فى تركيا بدعوى اللحـــاق بركـــب النهضة فى الغرب، وماذا جنت تركيا بعد ذلك من تغيير حروفها، هـــل دخلت مع الداخلين فى رحاب الخالدين أم خطوة إلى الأمام وخطـــوتين إلى الخلف.

وبالنسبة للمسلمين العجم فقد حدث اغتيال للحرف العربى الـــذى تكتب به لغتهم وتضييق الخناق عليه ومحاصرته لثنى المسلمين هنـــاك عن استعمال الحرف العربى، وتحويل كتابتهم إلى الحـــرف اللاتينـــى إمعاناً فى عزلة ثقافية على العربية كما حدث فى تركيا وماليزيا وفـــى غرب أفريقيا عند مجيء الأوروبيين إليها حيث المكاتبات بينهم وبـــين السلاطين المحليين تتم باللغة العربية، وبعد أن استتب الأمر لهم فرضوا

لغاتهم خاصة الفرنسية على المنطقة، ثم استشرت الحملة لنقص استخدام الحرف العربى فى اللغات المحلية.

أول طريق لفناء الأمة هو فساد لسانها والتهوين من لغتها، والغرب فى جملته قد اعتز بلغته على تعددها فسادوا وعزوا، فهل تتحول لغتنا إلى حسناء عند أعمى .

كثيرة هى الخدع الثقافية التى استسلمنا لها ثم انتبهنا إلى مخاطرها، لكن الخدعة الكبرى التى تؤرقنا تلك التى توهمنا بأهمية التدريس فى جامعاتنا باللغة الإنجليزية، حتى يكتمل مسلسل التشوه الثقافى لأنبغ نخبنا[1].

العربى هل يضطر لحمل القاموس الأجنبى :

فى بلاد الخليج العربى على رحابتها واتساع رقعتها لا تنفعك اللغة العربية فى عملية الاتصال لكثرة الوافدين إليها والذين يتحدثون باللغة الأجنبية (الإنجليزية) فنثروها ونشروها، ولم يكلفوا أنفسهم عناء تعلم العربية فى دارها، وفى بعض دول الخليج لافتات على الطرق العامة باللغة الأجنبية وحدها، كخفف السرعة مثلاً، وما على البدوى هناك إلا تعلم تلك اللغة الوافدة شاء أم أبى، وكذلك يحدث فى المحلات التجارية.

نعم وقع المحظور، فالمفردات الأجنبية تتسلل إلى اللسان العربى مع أن الحاجة لا تبدو ماسة إليها، فهى كلمات عادية ولكنه الشعور بالدونية والانبهار بالغرب.

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٩٩/٩/١٤م

أخشى ما نخشاه أن يجئ اليوم الذى يحمل المثقف العربى معه كتاباً يقرأه وهو القاموس الأجنبى، فقائمة الطعام اليوم فى كل فندق ومطعم باللغة الأجنبية، وهذا أخطر مائة مرة من قصة الشعر الأمريكية التى يتزين بها الشباب المفتون، فقصة الشعر قد تتغير من عام إلى عام وقد تزول ولا تعود، لكن أن تخترق اللغة الأجنبية الجزيرة العربية مثلاً فتنحى جانباً من لغتنا الركن الأعظم فى هويتنا فهنا مكمن الخطورة، ولا ينبغى حينئذ أن نشعر بالرعب أو الخوف من قصة الشعر ونتغاضى ببرود لافت عن التغييب الثقافى الذى يوشك أن يطمس هوية تلك الأمة المجيدة [1].

جريدة الأهرام القاهرية، مختار الصحاح لكل سائق[2]

لافتات المرور التى تكتب فى الشوارع لتهدى السائقين الحيارى، تحمل عبارات أجنبية توقع الحيرة بين السائقين، أى طريق يسلكوه وأى توجيه يتبعوه ومن ذلك "المتجه إلى شارع .. يتم الدوران من اليوترن.." وتابع ذلك " تعليق من تلك الجريدة المتألقة بأن كل سائق لابد أن يحمل معه القاموس العربى المحيط "مختار الصحاح" نظراً لأن اللافتات المرورية جمعت بين اللغتين العربية والإنجليزية، وتحولت إلى طلاسم أمام الغالبية العظمى من السائقين سيما وأنصاف المتعلمين.

---

(١) مجلة كل الأسرة ٢٠٠٣/٤/٩م.

(٢) الأهرام القاهرية يوم ٢٩ يوليو، و ٦ أغسطس ٢٠٠٣م

سابعاً : أضرار متفرقة :

البالية الروسى ينقض غزل العرب:

المسلمون لهم أعراف وقيم نابعة من دينهم ومجتمعهم فهل تماس العورات بين فتى وفتاة باسم الإبداع والذى قدمه الروس للعالم أجمع كهدية له، شاهدا على الفكر اللادينى، هل نحن أهله؟ هل يليق بأبناء خير أمه أن يدخلوا فى سرادق الفن الذى يهزأ بالقيم.

كم من فتى مفتون أو فتاة، بذلك الفن الطارق الذى غاب عنا منذ آلاف السنين فاكتشفه الروس وأشياعهم، رقص من نوع حركات وتمايلات إلى احتضان وتبادل ومساس للعورات جهاراً بين فتى وفتاة لتشهده الفتاة العربية والفتى العربى ويصفقون له بحرارة بالغة.

هل هذا الفن المقتحم جزء من المشروع الحضارى الذى تنتظره شعوبنا المتعطشة إلى النهضة الحقة بعد غياب طويل عن ساحة الصراع الحضارى ؟! كم من بلد إسلامى تروج لهذا الفن الطارق الذى تمخضت عنه بلاد الصقيع ؟.

إن الباليه الروسى الذى كسب الشهرة ونال درجة الأستاذية يعكس صورة المجتمع الذى شب فيه وترعرع، والذى أدى إلى الإلحاد وطرد الإيمان والفضائل، هل يرضى المسيح عيسى بن مريم وأتباعه هذا التطرف اللادينى المدعوم باسم الفن؟! وهل يشجع الرهبان فى صوامعهم تلك التيارات الهادمة للأعراف الدينية الماسة بالعورات؟ أم هو فن مقتحم لا مرحباً به عندهم بدورهم؟

لم يتغافل المسئولون فى البلاد الإسلامية وهم من سدنه الثقافة عن ضرورات الواقع الإسلامى والذين ترعرعوا فى ظلاله، فنعموا

بالسكينة والرقى والتوازن النفسى، فهل الباليه هو الدواء الشافى لمشكلاتها وأمراضها سيما بلاد الاقتصاد الفقير التى تتلقى الإعانات من كل محسن؟! هل يتضمن ذلك الرقص وثبة فى الصراع الحضارى الحقيقى الدائرة رحاه دون توقف؟!

إن الدولة التى ابتدعت هذا الفن قد أفل نجمها، وهذا يكفيها.

علاقات الجوار تضعف أو تنهار :

فى الغرب كل تولى بركنه بعدما غلبت المادة على المودة، لأن الديموقراطية التى يتشدقون بها لا شأن لها بقواعد الأخلاق أو حسن الجوار، وأجهد رجال الدين أنفسهم هناك بلا طائل، ولم يبق لهم من عملاء إلا من أصابه الكبر، وذاع تقطيع الأرحام فبلغت المودة الشيخوخة وأحيلت إلى التقاعد مبكراً، أما نحن فلا يزال الغرب يحسدنا على ما نملك من ترابط ومودة وأخاء ونسيج اجتماعى متماسك، فهل نفرط فى مكنوناتنا تلك، كما فرطنا فى الكتاب من قبل؟!.

اليوم تفوح رائحة الجثة فى بناية عربية ولا يدرى الجار بموت جاره الجنب!، أى تصدع فى نسيج المجتمع وعلاقاته الاجتماعية، حائط الجوار يريد أن ينقض بسبب سوءات الاغتراب الذى أصاب الكثير من مثقفينا ومترفينا الذين يظنون أن فى التباعد عصرية وتقدم.

لقد غفل كل هؤلاء الفقراء فى الثقافة الإسلامية أن المودة فى القربى هى من أسباب السعادة لأن كل شئ تقسمه على اثنين ينقص إلا السعادة، فالترابط الأسرى والعائلى الذى يحض عليه ديننا هو مظهر للقوة الدافعة فى المجتمع كما يقرر علماء النفس والاجتماع، والروح المشرقة تنبعث من التعاون والتواد، وحينئذ يغدو المجتمع فى بحر من الهناء العائلى والاجتماعى .

إن الباحث والفاحص لأمراض واقعنا يلمح من رقيب أو من بعيد تصدعات هائلة فى محيط الجيرة لدى المثقفين أو المترفين، وزاد الطين بلة أن امرأتنا اليوم قد أصبحت مثقلة فى حملها بعد أن خرجت إلى العمل، ومن هنا تعثرت الأسرة فى الوفاء بما عليها من عهود اجتماعية أو دينية .

إن الجار الجنب والجار ذى القربى هو أخ لم تلده أمك تستصرخه فينصرك، فهو أقرب من القريب، فهل نركض خلف اللاهثين وراءَ النموذج الغربى لتكون الجيرة قد اقترب أجلها أو انفصمت عراها.

ولادة التطرف الدينى :

التطرف الفكرى عبء على الواقع الإسلامى يدفع إليه فى المقام الأول حماس الشباب مع نصف العلم بالدين، ناهيك عن أسباب أخرى، وفى هذا العصر ظهرت فئات كثيرة ضالة فى دينها ومتطرفة فى عنادها، بل وتبجحها فى إثارة مشاعر إخوانهم المسلمين والاستهزاء بهم، كالاستهزاء برجال الدين على الشاشة الصغيرة والكبيرة وبكل القيم الإسلامية التى أصبحت تكون أعراف ديننا، كما هى متطرفة فى نهب ثروات الشعب واستنزاف قوته، وتوجه ضرباتها الموجعة والمؤلمة فى محياه ومعاشه، أليس ذلك هو التدين المنقوص حقاً فى عصرنا ؟!

أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأحلى القدود والخدود يفرض كل أولئك على شباب أبله عاطل وبائس ومحبط وعاجز عن الزواج وعاجز عن الحياة فمعناه إشعال الحريق فى جوف هذا الشاب وتفجير فتيل الحرمان، وهنا يقول أصحاب الفكر وأرباب القلم أن التطرف اللادينى

يولد التطرف الديني، والتطرف الأول مبعثه تقليد الأجانب في سيماهم الخلقية ومن هنا تكون انفجارات أصولية إسلامية[1].

إن العوج يبدأ فكرياً لينتهي باسطاً ذراعية على الحياة العربية والإسلامية وأولى عواقبه لدى هؤلاء المتطرفين هو اعتزال المجتمع ومخاصمة الدنيا.

ثامناً : من تحرير المرأة إلى تحريض المرأة :

كانت هي البداية والنهاية في اختراق المجتمع الإسلامي، والشغل الشاغل للمبدعين وأهل التنوير، يضعون السم في أكواب العسل، لأن تحرر المرأة يفسد حتى المرأة الصالحة كما يقول مثل روسي، ولكنهم جعلوه موضوع العصر وشعاراً تتلقفه المرأة ليعشش في ذهنها تحريرها من كل قيد.

وإن تعجب فعجب أن ينادي الغرب بحرية المرأة، ثم يلزمها بأن تتجرد من اسم عائلتها وتنسب لزوجها، فأي تحرير وأي عبودية تلك.

والآن تستدرج المرأة من التحرير إلى التحريض، تحريضها على نفسها وزوجها وأولادها، وإذا كان القرآن قد سمى المرأة صاحبة، فهل يجوز أن تنقلب الصاحبة على صاحبها ؟ هل يجتمع الهناء العائلي مع وخز الإبر من جانبها ؟ فتلك هي الفوضى السلوكية التي ألجأت الكثير من نساء الغرب إلى العيش مع الكلاب، والانفصال الجسماني أو التفكك الأسري فبم إذن تبشرون.

العلاقة الزوجية هي علاقة حميمة، ومن أصدق من الله قيلا ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، ومع ذلك صيحات تتعالى

---

(١) فهمي هويدي الأهرام في ٢٠٠٢/١/١م.

وندوات تعقد لتهب المرأة إلى إثبات ذاتها حتى تكون بمفازة من شباك زوجها تلك دعواهم.

وكم تعانى المرأة غداة ينفك عنها زوجها، فحينئذ توجه سهامها إلى نحرها.

ولا ضير فى اقتباس تجارب الآخرين طالما أنهـا لا تصـطدم بالدين، إما أن تكون واقدة من بلاد هجرت دينها فهنا مكمـن الخطـر، لأنها حلول أجنبية لمشاكل وطنية، فإذا تفاقم الوضع ألحقنا بالإسلام التهم وهو قد نحى جانباً ومبكراً عن الساحة، وهاكم صوراً مـن تحـريض المرأة[1].

دعاوى المرأة الجديدة :

نالت المرأة في الإسلام أعلى مراتب الكرامة"، فهى الأم الـرؤم صاحبة المقام الأسمى، والزوجة المصونة المدللة لدى زوجها والمليكة فى بيتها، وهى الابنة الكريمة، وهى الأخت التى ترغد فى كنف أبويها أو إخوتها.

أما المرأة الغربية فنحن مدعون للإشفاق عليها بعد ما صرح لها لتكون سلعة تعرض نفسها بدراهم معدودة، ومع ذلك فالإعلام الغربـى يجعل منها نموذجاً للتقدم وعلامة على الحرية والكرامة، فـى مقابـل المرأة المسلمة المظلومة أو المقهورة كما يدعي المبطلون، ومـن هنـا تنطلق الدعاوى الجديدة.

---

(١) أنيس منصور الأهرام فى ٢٠٠٠/٦/٢م، ومن الطريف هنا ما يقال أن للرجل السعيد هو الذى انشغلت زوجته بتحرير المرأة.

وبادئ ذى بدء كل قضايا المرأة عندنا قضايا بـلا متقاضـين، وأزمات بلا مأزومين، دخلت أجواءنا على حين غفلة من أهلها، وأصبح يروج لها على يد مدعى الإبداع.

أ- القوامة المفترى عليها، تجاهل الفروق الفردية :

شعور فطرى لدى المرأة بأن هناك من هو مسئول عنها، ولذلك كانت شريعة العزيز الحكيم لتحقق لها هذا الأمل، فهناك فروق فرديـة بين الرجل والمرأة، فليس الذكر كالأنثى، من قال أن اللبـؤة تريـد أن تتحول إلى أسد، فأحلامها فى إسعاد أسرتها، وكل ما تريده من زوجها الكلمة الطيبة وأن تكون فى قلبه وعقله[1]، ومع ذلـك يصـر أدعيـاء التنوير على قسمة القوامة بين الزوجين ولو حدث خلـل فـى بنيـان المجتمعات، ناسين أن القوامة للرجل منذ أقدم العصور، بما فضـل الله به بعضهم على بعض، فالرجل مكلف بالإنفاق عليها أما المـرأة فهـى تكمله بما يلائم فطرتها، فمهمتها الإعداد والتربية دون الإنفـاق علـى نفسها أو غيرها، وهذا لا يعنى أنها تابعه لـه وإن كانت فالحكمة تقول « كونى له أمة يكن لك عبداً »[2].

إن القوامة فى مفهومها السائغ فى الشريعة الإسـلامية ليسـت تصريحاً للزوج باستعلاء أو تسلط، ولا ينبغى الخلط بين ما يأتيه بعض المسلمين من تناقض بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين.

أما القول بأن المرأة قد أصبحت شريكة مع الرجل فى الإنفـاق على البيت فيكون لها الشركة فى القوامة، فهو مردود لأن الرياسـة لا

---

(١) ملحق الإيمان، الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٤/٣٠

(٢) إسماعيل الفخرانى الأهرام فى ٢٠٠٢/٢/١١م

تكون إلا لربان واحد فى السفينة، ومهما جاهدت المرأة العصرية جهاداً كبيراً، وصدرت لها قرارات ومراسيم، فلا تزال المرأة عندنا تحب الرجل الذى يحكم سيطرته عليها، ومهما ادعت التحرر والاستقلالية فإن "سى السيد" لا يزال يأسرها لأنه الوحيد القادر على إرضاء أنوثتها[1]، وتوفير الأمن والأمان لها، وقل صدق الله :﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ..**﴾ [النساء:٣٤]، ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم:٢١].

ب- التسوية فى الميراث:

مساواة الرجل بالأنثى فى الميراث، عناداً لقوله تعالى : ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء:١١]، والداعين إلى ذلك لم يستوعبوا تنزيل العزيز الحكيم، فمفاضلة الذكر على الأنثى عندما يكون الذكر مسئولاً عن الأنثى التى أخذ ضعفها، فهو يأخذ الضعف لينفقه عليها فيما بعد.

أما الميراث إذا كان مَن جهة الأم فإنه يتساوى فيه الذكر والأنثى، ومن ناحية أخرى فإن الأنثى لا تكون مغبونة أبداً، فالإسلام أعفاها من الإنفاق على أقربائها إذا لم تكن ذات مال بخلاف الرجل، فهو مكلف بالإنفاق على من تجب عليه نفقته من الأولاد، ما دام قادراً على العمل فى حين أنها غير مكلفة بالإنفاق على نفسها ولو من مالها بل ولو كانت ثرية، فنفقتها على زوجها ولو كان معثراً.

إن نظام المواريث فى الإسلام أعدل نظام عرفه العالم قديمه وحديثه، ولكن ماذا تقول لفقرائنا فى الثقافة الإسلامية ؟.

---

(١) مجلة زهرة الخليج فى ٢٠٠٣/٤/١٢م.

جـ- إلغاء عدتها واستبدالها بالكشف الطبى :

والعدة فى الفقه الإسلامى ثلاثة قروء ليثبت براءة الرحم من الحمل، وقد ثبت طبياً وعلمياً أن الكشف الطبى لا يظهر ذلك أحياناً إلا عند نهاية فترة العدة، التى حددها خالق الإنسان بثلاثة قروء، لأن المرأة قد تحيض وتكون حاملاً ولا يظهر حملها إلا عند نهاية العدة المقررة شرعاً، وحتى اللائى يئسن من المحيض فقد تحمل مثلما حملت السيدة سارة بسيدنا إسحاق عليه السلام، ولذا جعل الله عدتهن بثلاثة أشهر، وهو أعلم بما سيصل إليه العلم فى أى عصر يقول تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ**﴾ [الطلاق:١]، ناهيك عن أن هناك أمور نفسية ينبغى إعمالها وهو أنه ليس من المقبول والمعقول نفسياً أن تطلق المرأة أو يتوفى زوجها ثم تتزوج فى اليوم التالى، لأن من مشروعية العدة إعطاء الزوج فرصة الرجوع إلى مطلقته فى الزواج الرجعى بل دون كلفه، وفى حالة وفاة الزوج تعتبر العدة مواساة لأهل الزوج ووفاءً للزوج.

ولكن المؤتمر النسائى الذى عقد أخيراً فى الجزائر تحت رعاية المجلس الأعلى للإغاثة، قد أصدر توصياته الميمونة والتى تنص على أن للمطلقة أو المتوفى عنها زوجها الزواج فوراً دون انتظار انقضاء العدة، إذا رغبت فى ذلك وأثبتت التقارير الطبية أنها ليست حاملاً، تلك دعواهم.

وأخيراً يسأل سائل بعد عرضنا لقضايا المرأة هل أنت عدو المرأة والجواب أنه لا يوجد عدو للمرأة وإنما توجد عدوه.

الفرع الثاني
النَّيلُ من الخصوصية الحضارية

وهذا ما سنستعرضه في النقاط الآتية :

أولاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين:

هزيمة سلوكية ترقبها الوفود الأجنبية التى تفد إلى الديار الإسلامية للاستمتاع بأعرافها النيرة، وخصوصيتها الحضارية والأخلاقية، فهو ينزل بلاداً تخلو من الفواحش ما ظهر وما بطن، والمرأة فيها مليكة متوجة تمشى على استحياء، فالحياء لا يأتى إلا بخير، لا تكشف عن ساقيها أو تفضح عوراتها، كما عهدوا فى ديارهم، فإذا بهم يجدون ديار العرب وقد تحولت إلى أمة مائعة تتسول زادها السلوكى من أمم أخرى ويغشاها الجحود لذلك الدين القيم.

نعم ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠]، فالانبهار يؤدى إلى الانصهار والانصهار يؤدى إلى الاندثار، لقد تميزت مجتمعاتنا بقسمات وملامح تميزت بها فى العالمين، فكونت تلك الخصوصية الحضارية التى نعتز بها فى قرارة أنفسنا، وعزت بها دولتنا وأوصلتنا إلى الشموخ الحضارى، ولكن المحاكاة والتقليد فى غير محمود السلوك خلف أضراراً عديدة مديدة، ولم يترك دقيقاً إلا دقة ولا ذهباً إلا ذهب به ولا فضة إلا فضها، وهاكم بعض ما اعترانا بسوء ..

فتقليد الأجانب فى غير ممدوح سلوكهم يشوه واقعنا ويصيب المقلدين بالغربة فى أوطانها، وازدواج الشخصية، وثنائية المعيار، حتى

نصل إلى ما يسمى بالسلوك المضاد، وهو سلوك مصدره التسول من سلوكيات الأمم، وهو أرذل أنواع التسول، فتشبه النساء بالأجانب في غير ممدوح السلوك قد ضيع أنوثة المرأة وأفقدها شخصيتها الإسلامية، وأدخلها فى التية الحضارى مع أن دينها قد زينها وكرمها بحقوق لم تنالها امرأة فى مجتمع آخر[1] .

كم هى لطمة حضارية للخصوصية الإسلامية التى جاء بها الرسول ﷺ وقد أسس بنيانه على ما أوتى النبيون من ربهم فهل نتحول إلى مجتمع هجين مذبذب السلوك مهلهل الانتماء غريب الشكل ضعيف القومية والعصبية، يعيد إلينا الاستعمار من طرف خفى [2] .

وفى العواصم العربية العصماء تجد اللافتات الأجنبية هى اللافتة لك، ويوم العطلة الأسبوعية هو يوم السبت والأحد تقليداً للأجانب، أما يوم الجمعة فهو عمل دءوب عند كبار التجار ورجال الأعمال وملوك الاقتصاد، ساهون عن أن ذلك يمثل هزيمة حضارية وسلوكية في آن واحد لا تقدم لنا أى جديد، والغريب أن تلك الهزيمة الحضارية قد لا تحس بها وإنما يرصدها الأجانب الذين وفدوا يرمقون حضارتنا كما أسلفنا، حتى الطفل العربى نفسه يستصرخنا اليوم دعونا من التقليد فأنا لا أجد لعبتى المناسبة لظروفى وبيئتى، وتلك أم مسلمة تحتفى بجهالة بابا نويل، هل يتحول اتباع محمد ﷺ فى واقعهم إلى مملكة من الطاووس فى مستنقع التقليد.

---

(١) الدكتورة/ آمنة نصير، اللواء الإسلامى ٤ يونيو عام ١٩٩٢م
(٢) فهمى هويدى، الأهرام فى ١٩٩٧/٩/٣٠

كم هو إقصاء للمسلمين عن أوطانهم وفى هذه إضـــاعة لمجـــد العرب، وتهميش لاتباعه وهنا نقول ما قال الشاعر

مشى الطـــاووس يومـــاً باختيـــال * * فقلـــده مثـــل مشـــيته بنـــوه
فقال علـــى مـــا تختـــالون قـــالوا * * بـــدأت بـــه ونحـــن مقلـــدوه
فخالف سيرك المختـــال واعـــدل * * فأنـــا إن عـــدلت فإنـــا فـــافعلوه
وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا * * على ما يكـــون عـــوده أبـــوه

نخب محليه تقوم بترويج النموذج الغربى فى فروع شتى بحيث يتم الاستلاب من الداخل.

كم من كتاب عربى علَّم العالم، وفضل العرب علـــى غيـــرهم مرصود فى ميدان الثقافة العالمية، وكان لهم الفضل المبين فى بـــزوغ فجر الحضارة الغربية، ولذلك يضحى تقليد الأجانب فى سلبياتهم مذلة لا يقبلها أهل الشموخ، وقد فضلنا الله على الأمم قاطبة، ولكن اليوم تـــرى مثلاً جامعة عربية فى بلد عربى والتلميذ عربى والأستاذ عربى والمادة عربية ومع ذلك يدرسونها بالإنجليزية تبعية وانبهار بالآخر لا ضـــعفاً من جانب لغتنا.

حين تذهب إلى المجتمع الغربى من أقصاه إلى أدناه تجد مجتمع السلوك المباح، وحين تطلع اليوم على المجتمع الإسلامى تراهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا ملتزم وذلك منحل وهذه امرأة محتشـــمة وتلك سافرة أى الفريقين أحق بالانتساب لهذا المجتمع، وهناك سماسرة للغرب إلى جانب ذلك يعرضون الشذوذ الغربى لتفـــتح عنـــدنا أوكـــار للرذيلة والخنا.

هل واجه أهل الغرب حضارة مثل حضارة الإسلام في تاريخهم، تلك التى أوقفت زحفهم منذ القرن العاشر الميلادى بل شتت شملهم، فكانت فى دول البلقان، ومن قبل فى أسبانيا مكث الإسلام فيها ثمانية قرون من الزمان، ولولا اختلاف الأخوة لاستمرت إلى الآن، ولا تزال حضارتنا رغم محاولات الضغط عليها تحتفظ بروح المقاوم العنيد.

إن تقليد الأجانب فى غير معجزاتهم يصمنا بالركود الحضارى مهما أغرانا بادعوا التنوير بزعمهم برفاهية براقة أو عزفت الأنغام على مساوئ السلوك المعادى، والذى يؤذن بخراب الحضارات ولكن بعد حين من الدهر.

لو أن شباب شعب عربى بكامله، قال لعمته يا تنت أو لخالته، فهل يكون قد أذن مؤذن بالتقدم أم هو دلالة على الاستعمار الفكرى والركود الحضارى، إن تخلى أبنائنا عن التحلى بحضارتنا أكبر ظلامة للأطلس الإسلامى بما يتميز به من سعة وبسطة وخصوصية حضارية، نعم، هى لطمة حضارية قوية حينما يكون التوجه عندنا هو طرح نموذج العيش الغربى فى الوطن العربى والإسلامى، ليعود استعمارنا فى ثوب جديد قشيب وليعيش أبناء أمتنا وقد خارت عزيمتهم، وتحولوا إلى أذيال تجر.

ثانياً : تهميش العالم الإسلامى أمل العولمة [1]

شعاراتها كلها تستر النزعة الاستعمارية لتجميل وجهها القبيح، فدستورها فرض قيمها وثقافاتها وأسمى أمانيها تهميش العالم الإسلامى،

---

(١) حامد العلى، الإيمان، ملحق الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/١٢/١م.

وتسليم قيادة البشرية إلى ثقافة الغرب، وهناك من يحاول التلفيق بين العولمة وقيم الإسلام، وهى محاولات لتضييع وقت الأمة وعزلها عن سياقها، وإلغاء ذاتيتها بالاستعاضة عن كل تراثنا بمفاهيم لا تؤمن بوجوب عبادة الله واتباع الوحى والاستعداد للآخرة، فالكون فى نظرهم قد خلق لا لعباده الله، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذات وشهوات، فالعمر فرصة قصيرة ولا ينبغى إضاعتها، والشهرة والمجد والجمال والمال هى أمانى تحمل لب السعادة.

والنتيجة من كل أولئك إنزال راية الإسلام من عليائها ولو كانت لا تزال خفاقة.

ثالثاً : اختراق المجتمع المسلم بأسوأ ما فى المدنية الغربية :

نعم أن الغرب هو موئل الاختراع والمعجزات والمنجزات وقد ارتقت حضارته وعلا شأنها، ولكن هذه الحضارة العملاقة لها شقها السلبى، فظهرت فى ساحتنا آثام لم تكن من قبل تجوس خلال الديار دون أن تجد من يردها على أعقابها.

لقد تسللت إلينا روح الإشباع، هدف التنمية المنشودة فى الغرب، وحين تهيمن تلك القيمة فإنها تضرب تلقائياً كل معانى القناعة والإيثار بل يصبح الحديث عن ذلك غير مرغوب فيه، مع أن رصيدنا فى القيم يحصد الجوائز، من المروءة والتضحية والبذل والفداء والتراحم والورع وجبر الخاطر، درجات عالية من السمو الإنسانى الذى يتجه نحو الآخر، أخاءً ورحمة، اليوم انتشار أندية القمار فى العواصم العربية التى تجر ورائها أرتالاً من الوباء الخلقى والذى بدأ بالأجانب وانتهت بأصحاب الديار، وكانت تلك النوادى أكبر من القمار حيث تكون متجراً للخمور، ومن بعدها المتاجرة فى الرقيق الأبيض وينتهى كل أولئك بافتقار الديار وبيع للعقار.

رابعاً : تعطيل جوانب الإبداع :

فقومنا عفا الله عنهم، يستجلبوا أدوات الزينة قبل أن يستجلبوا مقومات الحياة والحضارة الحقة، ويعرضون لنا تسريحة المرأة الأوروبية قبل أن يعرضوا ألوان الآداب والمعارف التى حصلتها المرأة هناك، فرفعت قدرها فى أعين الناظرين.

تلك هى ضريبة المحاكاة والتبعية، شعوب لا منهج لها، تستهلك حضارة الآخرين ذلك هو قدر المقلدين، فالمحاكاة فى غير منجزات الغرب تخلق مجتمعاً ذا خيال مريض، مصاب بازدواج الرؤية، مرض يفقد حاسة التمييز بين المحاسن والمساوئ، فالتقليد المرذول يغلق منافذ المعرفة ويعطل جوانب الإبداع ولا يعود معه الشاردون فى التيه إلى السواء.

توقفنا عند محطة التغريب لا التحديث :

لقد كانت الضربة فى مقتل حقاً، فقد أجاء بنا التقليد إلى العجز والإحساس بالمهانة، حتى أن البعض قد تقول علينا الأقاويل بأننا أناس ليس أمامهم إلا الانتحار أو الاندحار والاندماج فى الحضارة الغربية، بعد أن كأن العالم الإسلامى فى طليعة الحضارة الإنسانية فى حين أن من كانوا وراء تخومه هم البرابرة والكفار، فكان الإسلام قرين الحضارة، خذ ما يؤكد هذا، كتاب جديد صدر عام ٢٠٠٢م للمفكر الغربى "برنارد لويس" بعنوان ما الخطأ ؟ تأثير الغرب واستجابة الشرق. فيقول بأن استجابة العالم الإسلامى للتأثر الغربى وقفت عند حدود التغريب، تحت إغواء تغريب الملبس والمأكل والموسيقى والفنون. فى حين أن دولاً كشرق آسيا استمدت تحديثها من الغرب وأفلتت من قبضة التغريب.

لقد تبنت دولنا مثلاً نماذج اشتراكية مستوردة صرنا نتشدق بها حيناً من الدهر، فحولت بعض أممنا إلى نظم فاشية أو نازية قمعية أحياناً، وبعد أن كنا خطوة إلى الأمام صرنا خطوتين إلى الخلف.

خامساً : الحرج أمام الوفود الأجنبية:

ما هو الإسلام فى مظهره ومخبره فى دياره ؟ تلك بغية السائح فى ديار المسلمين.

يفد إلينا الأجانب من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فديارنا كلها خيرات حسان، يطمع السائح دائماً فى أن يجد المزيد والجديد بما لم يألفه فى بلاده.

ولكن سائح الغرب إذا وفد إلى بلاد الشرق ليجدها صورة لما ألف فى بلاده، فإنه يقلب كفيه على ما أنفق فى رحلته، وكم يزدرى المقلدين ويبطن لهم الاتهام باضمحلال الشخصية والتبعية حين يرى سلوكنا كسلوكهم وأزياءنا كأزيائهم ونساءنا على شاكلتهم، ملابسهن تجسد العورات، ملامح المرأة الشرقية قد توارت، كم يسر الندامة حين يجد بلادنا صورة للغرب، وكم يقللنا ذلك فى أعينهم، مع أنهم قد قرأوا وسمعوا عن أعراف طيبة ودين القيمة وإشرافات روحية أفلست فى توفيرها لهم الحضارة الغربية، كم يتحسر حين يجد عمارتنا نموذجاً لعمارتهم، حين يرى أماكن للخنا فى بلاد إسلامية، حتى مطعوماتنا، حين يرى قوانيننا كقوانينهم وفنون الرقص عندنا أخّاذة، وبالجملة فإنه لن يتردد فى إدراجنا فى قائمة الذين فقدوا الهوية وصاروا تبعاً للأسياد.

واهتمام المرأة العربية بالموضات الغربية وحرصها على التقليد، لا تستسغية السائحات الغربيات اللائى يحضرن لزيارتنا، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت مصر أخيراً، وكتبت مقالاً فى مجلاتها تقول فيه: "لقد صدمت جداً بمجرد نزولى أرض المطار كنت أتصور أننى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة، ولا أقصد بهذه المرأة التى ترتدى الحجاب والحبره، وإنما المرأة الشرقية المتحضرة التى ترتدى الأزياء العملية التى تتسم بالشرق وتتصرف بطريقة شرقية، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد، وتسريحة الشعر هى نفسها، والمكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفى بعض الأحيان إما الفرنسية أو الإنكليزية[1].

ماذا تجيب المرأة العربية الكاسية العارية على السائحة الأجنبية حين تسألها عن زى قومها، لا جواب سوى التلعثم والخزى، كم ألقى التقليد أضواءً باهتة على تراثنا ومجدنا، فإذا لم يجد السائح بغيته من رحلته فلن يعود إلى بلادنا مرة أخرى، لقد جاء يبحث عن الجواهر الكامنة فى بلادنا، فإذا به يجد الذهب قد ذهب وذهبت معه الخصوصية الحضارية بثمن بخس.

سادساً : تآكل حضارى حتى فى مجال الفنون

مرحباً بالفن والمبدعين فى كل واد، نستقبله بالورود والأحضان، فهو من سمات الحضارة والارتقاء ولا يجحد ذلك إلا مريض الجمود الفكرى، ومن هنا كان للفن الإسلامى دولته ومكانته لأنه كان محوطاً

---

(١) سيد سابق فقه السنة ص ٤٦

بسياج الدين، ولكن التقليد الذى دب فى هذا المجال نال من خصوصيتنا وما كان ينبغى .

فالغناء العربى : أصابه التقليد (والتنطيط)، فقد طفا على السطح طوابير المبدعين بزعمهم، وصار الشباب همهم الرقص والنقص، بعدما أسكرتهم الموسيقى الصاخبة فقهوا فيها أو لم يفقهوا.

وطغى المدعون على المبدعين وصارت الأغنية العربية صراخاً وصخباً وكلاماً يفسد الذوق، والآلات الموسيقية التى أنتجت تراثنا صارت مهددة بالهجران، وصار الفنانون يشكون بعضهم بعضاً لأن من شيعتهم من وقع فريسة تقليد الأجانب[1].

ولقد وصل الفن لدينا إلى طريق مسدود أو قل فقد رسالته، فما يحدث الآن لا يمت من قريب أو بعيد إلى الفن إنما هو فى الغالب عرى وابتذال وترويج للإباحية، والأسوأ أننا قد نقلنا رؤية الغرب لمسألة الجنس وتصوره عنها دون أن ندرى بطبائع مجتمعاتنا، ويجأر المنصفون منا اليوم لضبط ما يقدم باسم الفن وعرض كل عطاءات الحضارة الغربية فى شقها السلوكى على مبادئ الإسلام، فما وافقها قبلناه وإلا رجمناه.

أعمال فنية بالغة الهبوط تعرض على شبابنا بالغداة والعشى نتاج الاجتراء على الفواحش واستباحة الحرمات وتفشى الفراغ العقائدى والتفسخ الخلقى الذى انحدر إليه أصحاب الاختراع والابتكار، وقد أعان على ذلك الاستخدام السيئ لأجهزة الفيديو التى يقبل على اقتنائها المترفون، وهو ما يعجل بالفسق المبكر لأبنائهم، وأعمال يقال أنها فنية

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية فى ١٩٩٨/٤/١٩م، الأهرام القاهرية فى ٢٠٠٣/٦/٦ الأغنية بين الفخ التجارى وآلية القنوات الفضائية.

وهى تحط من قدر المرأة وتجعلها فريسة للرجل ولا ضير أن ينقض عليها إن لم تسلم نفسها له بالمداعبة أو الرضا.

أما الوجه الوضاء للحضارة الغربية فإن تجار الثقافة عندنا عنه عازفون، فهم فقط مولعون بالسفالة الجميلة وشهادة الزور .

ليكن معلوماً بالضرورة أن الإسلام لا يحرم الفن وإنما يحرم الرذيلة، فالفن الملتزم ينمى المشاعر الإنسانية ويحضنا على المحاسن – أما أن تتحول المرأة المسلمة فى محراب الفنون مثلاً إلى صديق لرجل أجنبى أو عشيقة وخادمة له تحت شعار الحب والهيام، وتتفشى عندنا الغواية فأين الشرف والعفاف والعرض المصون الذى يسجله الغرب لنا ويود أن ينقله إلى رحابه؟! لقد خلت الفاحشة من بلادنا قروناً طويلة رغم انتشارها فى المجتمع الغربى بشكل طبيعى، فهل تعود إلينا مع أنباء رذائل الحضارة الغربية المرموقة ؟.

والشعر والنحت والتمثيل والموسيقى وغيرها من الفنون الراقية لا يعاديها ديننا طالما تجردت مما يسئ إلى العقيدة، فقد مارس أبناء الإسلام كافة الفنون فى تعبيرها عن النفس البشرية وأبدع بنوه أشكال متنوعة من الشعر والموسيقى والتصوير والنحت والرسم والعمارة، وكان ذلك أبلغ تعبير عن هوية وذاتية عريقة عريضة اتسعت لكل الخصوصيات الحضارية، للأجناس والأمم التى دخلت فى دين الله وتباركت بسننه، والإسلام لم يمنع الصورة وإنما منع عبادة الصورة ومنع تقديسها ولا يحرم السينما والفيديو طالما كانت النية فى استخدامها خيراً، فقيمتها فى استراتيجيتها الفكرية والتربوية والثقافية التى تتركها وترسم لها إطار عملها[1].

---

(١) اللواء الإسلامى، ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٩٢م.

إن الفن ليس عيباً، وإنما هو أمر وعلم مفيد للناس إذا كان الفن المبسوط لنا هادفاً يحمل رسالة مضمونها أن نرتقى بالحياة إلى الأفضل، وهو يكون كذلك إذا لم يتعارض مع القيم وحث على الفضيلة والطهر وأسهم فى حل المشكلات وميز الخبيث من الطيب.

سابعاً : نعم للتواصل الثقافى لا للانصهار:

ذلك أن المحاكاة فى الظاهر تؤدى إلى المحاكاة فى الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلِد والمقلَد، وواسطة انتقال لمعتقداته وأفكاره و"أيديولوجياته" إليه، إما بشكل مباشر وعنيف ودفعة واحدة، كما حدث فى تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك، وإما بشكل تدريجى سريع أو بطيئ كما يحدث فى كل زمان ومكان بين كل مقلد ومقلد.

إن التواصل الثقافى بين الشعوب مطلوب، ولكن الانصهار فى بوتقة الآخرين عار ومذلة حيث ينخلع النشئ من ذاته وينسلخ من سلوك دينه ليهبط من عليائه إلى دنيا السفالة الجميلة، التى تسلب حسهم وحماسهم وأول الضحايا هم طالبات الجامعات، سيما الذى يملكون الفضائيات، فدلت المقابلات الميدانية على أنهم قد أصيبوا بتأخير واجباتهم الدينية والأسرية والعلمية، كما زاد الشعور بالشتات، وصار الاهتمام أكثر بالمظهر دون الجوهر والديكورات وأنواع السيارات، صرنا متأزمات سلوكياً ونفسياً، فلا مانع من الاقتداء بالعلاقات الاجتماعية التى نشاهدنها فى هذه الأفلام، ويتمنى البعض أن يمارس

حياته كما تمارس تلك المجتمعات الغربية، حيث تستحوذ فكرهم ولبهم أوهام السينما والأوضاع الإباحية الغربية، والخيانات الزوجية التى تقوم لهم كزاد فكرى أو ثقافى، فى ألوان من التطرف الخلاب الذى يعرض الانحلال الغربى فى بهاء يأخذ بالألباب ويلبس العهر أثواب العز، ويكسو الرذائل بهالات الزخرف، ويصبح هذا غذاءً يومياً وشهوة لا تقاوم، اعتادها المشاهد العربى للسلوك الأجنبى، وهو ما يستدرجهم للتطرف اللادينى نتيجة بريق النموذج الغربى، ووأسفاه فى جوانبه المستهجنة[1]

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١١م

openkandl.com

الفرع الثالث

الخطر على الذاتية الإسلامية

(أجيال مأزومة او مهزومة)

وسوف نستعرض ذلك من خلال ما يلى :

أولاً : تجريف الهوية الإسلامية :

تغيرات جذرية تطرأ على الذات الإسلامية، يقدمها تضاءل النظرة إلى القيم والسلوكيات والشمائل الطيبة إلتى يتسم بها فتى العرب، وران علينا اتجاه محموم لتحصيل المادة والتحصن بها، وهو ما يخلق أجيالاً فقيرة فى النبل، ضعيفة فى حسها الوجداتى وسلوكها الدينى .

هى خلاصة حرب كامنة على الأمة، لم تعد تستهدف نظام حكم أو ثروات أو موقعاً جغرافياً، وإنما تستهدف الذات الإسلامية لاحتناكها وافتراسها، لقد استقدم التقليد فنوناً من تقاليد المتنصرين فى الشرق والغرب، تجرنا –واسفاه– إلى بوتقة المدنية الغربية فى سلبياتها دون إيجابياتها، وتصفية كياننا وجعلنا هزيلاً يجر عن طريق ربطنا أجيالنا الصاعدة بمفاهيم تطمس المعالم الإسلامية وتخلق أجيال لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، منبته عن أعرافنا نابية عن عقيدتها وأخلاق أمتها حتى يصل الأمر بهم إلى الذوبان.

والباحثون أبدوا مخاوفهم من أن الطلاب العرب بالمدارس الأجنبية وفى الجامعة الأمريكية يخلعون رداء الهوية العربية قبل أن تطأ أقدامهم تلك المعاهد، مع أنها أهلت لتعليم الجاليات الأجنبية وربطهم بوطنهم، فهل يؤدى ذلك النوع من التعليم إلى التعتيم على ثقافتنا وقيمنا عندما يركز على التعليم باللغة الأجنبية من الحضانة حتى الجامعة[1].

---

(١) الأهرام الاقتصادى ٧ أغسطس عام ٢٠٠٠م

إن ثروة الأمم الحقيقية هم أبناؤها، وإذا تحولوا إلى غرباء في أوطانهم فتلك حالة من الانفصام الوجداني عن أممهم، والغربة النفسية التي تتصارع مع قانون الولاء لأوطانهم، ولذلك تتسابق الدول في محاولة إبراز الملامح القومية، فتطرح الكئوس والجوائز للحفاظ على الأصالة خشية التغرير والتغيير ببدائل أجنبية.

لقد أصبحت مناهجنا التربوية تستشهد بفرويد وتترك "ابن خلدون" وتركت مؤلفات الغرب المدرسية بصماتها في العقول التي أشربت بحبها، وأصبح الشعور بالدونية تجاه الغرب موضوع الموضوعات.

أخطار بالجملة :

من أخطر أمراض الواقع الإسلامي الراهن هو خلق أجيال لاهية قلوبهم عما يراد بهم، فقد أنتج الخواء الثقافي الضارب أطنابه في البيت الإسلامي أجيالاً يمشون في سراديب الحضارة المعاصرة كما تمشي الفئران في الظلام لا ترمق إلا الفضلات، وهو ما أدى إلى تسرب أفكار الأجانب وسلوكياتهم في المساوئ دون المحاسن، وليس هذا دأبنا أو أدبنا، وحتى النخبة المثقفة والذين نصبوا أنفسهم أولياء مرشدين على هذه الأمة كان حظهم في الفقه قليل، وللدلالة على الأمية الدينية التي أصيب بها هؤلاء أسأل من شئت منهم عن صلاة الوتر أو الاستخارة أو حتى عن الشهور العربية ما هي، أو ترتيبها، تجدهم وكأنهم من العجم وليسوا من العرب!!.

ويرصد لنا شيخ التربويون الدكتور حامد عمار أن شخصية الفهلوى والهباش التى استشرت عندنا فى مجتمعنا هى من أخطر الظواهر السلوكية التى تمثل اعتداءً صارخاً على تروثنا الفكرية وموروثاتنا السلوكية والقيمية[1].

إن التقليد لا يكون إلغاء لشخصية فحسب، ولكنه يكون قتلاً للإنسانية فى الإنسان، وإنهاءً لوجوده بيده، وتحطيماً لمبدأ تكريمه الإلهى، ونزولاً إلى درك العجماوات التى يقود قطيعها واحد منها، فيسقط القطيع كله متتابعاً إن سقط ذلك الواحد، ويستمر مستقيماً فى سيره إن استقام، ولأجل ذلك شنَّع الله على المقلدين لآبائهم بلا علم ولا بصيرة ولا هدى، وكذلك الذين لا يعملون عقولهم فى مثل قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٢-٢٤]

فخطورة التقليد الأعمى فى المرذول من السلوك فى كون المقلد يظن أنه مهتد وهو ضال، ويرى نفسه على حق وهو مرتكس فى حمأة الباطل، مقارن للترف، بل هو إحدى نتائجه الحتمية المريرة .

وخطر آخر للهزيمة هو استخفافه بدينه واحتقاره له، متصوراً أنه سبب ضعفه وعجزه وغلبة الغرب له وانتصاره عليه، فيؤدى هذا إلى انسلاخ مقنع منه، لا بل وثورته عليه!! [2].

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠١/٢/٢٠م.
(٢) عبد الله الشبانة ص ١٥٦.

جيل إمعة ومزيد من كم التفاهة :

هل يليق بأحفاد الأسلاف الصالحين، أن يتحول البنون والبنات إلى سوار فى معصم الغرب، فرحين بالقشور دون اللباب، فإذا رأيت ثم رأيت ترى قطعاناً من الشباب لا يوحى مظهرهم بأنهم أبناء العرب، قمصانهم وسراويلهم لا تمت إلى أمتنا بصلة، لباسهم وشعورهم المراسلة غير المهذبة التى لا تمت إلى حسن السمت الإسلامى، الذى يعكس أصالة المعدن وطيب الجوهر.

إن الجماهير العريضة الذين أصيبوا بالجدب الثقافى فاستهوتهم تقاليع الغرب غافلين عما يراد بهم، يلبسون على رؤوسهم إيشارب وفى آذانهم قرط كالنساء على غرار ما يجرى فى أوروبا، ناهيك عن السلاسل التى تطوق الأعناق، كم يسر الندامة وخاصة فى مجتمعات الاقتصاد الفقير، أمم ناشئة تريد أن تنهض فتتعثر، أرداهم التقليد فى المساوئ، وإذا دعاهم داعى الرقص يتأبطون بعضهم وتعلوهم السطحية الحمقاء فكل ما فعلوه هو استيعاب أفلام الشرق والغرب وأحداثها بذكاء وكذا المخرجين والمنتجين لها، وهو ما يصمهم بالتسطيح الفكرى [1].

نعم هو تقدم فى عرف الغاوين، خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف، وتقدم يأباه ديننا الحنيف الذى يقوم على ثقافة بناءه لا ثقافة الفيشار ثقافة ينبوعها قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد، فذلك هو الرقى الحقيقى، هل يقتاد شبابنا إلى ساحة القضاء بتهمة محاولة تقويض البناء الشامخ المجيد، هل يسجل التاريخ فى صفحاته التى لا تعرف التدليل أنهم تحولوا إلى جيل أشبه بعصف مأكول.

---

(١) يسرى عبد المحسن، السم فى العسل، الأهرام فى ٢٠٠/١٢/٢م.

نعوذ بالله أن ينطبق على أجيالنا قول ربنا ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]

فتقليد الأجانب يحسبه البسطاء مجرد محاكاه لتقاليع وافدة، فى حين أنه مظهر للضياع الدينى، ويخشى عقلاءِ الأمة أن يصل السكين إلى العظم، ويتحول المجتمع حينئذ إلى خليط من المضحكات والمبكيات.

إن إعصار التغريب الذى يلف مجتمعاتنا قد طال ألسنة الناس، وأنماط حياتهم وسلوكهم، فى غيبة نموذج المجتمع المسلم، ألا يشكل هذا قلقاً على الحاضر والمستقبل سيما مع الحرص الشديد على التردد على بلاد الغرب، والشعور الذى يغمر الذاهب إلى هناك، مع إحساس ملازم بعجزنا عن اللحاق[1].

هل يكون نصيب الذات الإسلامية أن نرضى من الغنيمة بالإياب ويصبح انبهارها بالأجانب فى سلبياتهم مجرد انخداع بسلوكياتهم ولا صلة لها البتة بأى تقدم أو تقنية، كم يصلب أبناؤنا بالازدواجية لا بل وأزمات نفسية وهزائم حقيقية تمارس باسم الحرية المدنية، سيما مع ضعف السلطان الدينى، وإثارة الشبهات حول ديننا بأقلام دعاة اللادينية، مع العجز عن ردها بأسلوب عصرى، يفحم المردة، أليس انهزاماً حقيقياً لأجيالنا حيث يصبح محل اهتمامه بشعره ونعله وخصره على النمط الأوروبى، وحيث تتحول المسلمة كاسية عارية لابسة (للأسترتش) الذى يجسد عوراتها، (والخنفسة) فى مظهر الحدث، وصوت الديسكو الذى يحجب الآذان عن سماع نداء الرحمن، والرقص والقبلات والاختلاط،

---

(١) فهمى هويدى، الأهرام ٢٩ مايو، سنة ٢٠٠١م.

ألا يصاب أبناء السلاسل الذهبية حينئذ بالتسوس والهزيمة الروحية والنفسية، ويستفحل الشعور بالدونية ومسخ الشخصية فيصير أشبه بفتى أعجمى فى بلد عربى [1].

ثانياً : كثرة الغرقى فى مستنقع التقليد

١- شبابنا (كاجولوه) .. وأمركوه

شبح يطل عليهم كل حين فلا ينجو منه إلا من عصم الله تلك هى العولمة الطارقة، فملامح الغزو تدق على الأبواب فتحول اهتمامات الشباب وتمحورها فى القشور الخارجية، المظهر ووسائل رفاهيتهم

---

(١) خيبة الأمل فى ستار أكاديمى :

فقد جاء فى مجلة حواء تساؤل عن الاستقبال الدولى لنجوم "ستار أكاديمي" والذى بثته الفضائيات العربية ما يلى : "شوية عيال نكشة شعرها ورابطة إيشاربات على معاصمها كما الغبيات، صدمت من الدهشة وأنا أراهم شابات وشباب يرقصون ويقفزون فى الوقت الذى تقدم لنا شاشات الفضائيات وأيضا المحليات شباب وأطفال العراق وفلسطين مطروحين على الأرض غارقين فى دمائهم .. وازدادت دهشتى وصدمتى وخيبة أملى فيهم وأنا أتابع فقرات حفلهم من خلال البث المباشر لا صوت ولا صورة ولا أداء فقد أساءوا للفن الجميل، أغانى زمان والجميل منها الآن بهذا الداء الضعيف على المسرح.. حزنت أكثر أن يشارك إعلامنا فى هذه الفضيحة، وكنت أتصور أن مثل هؤلاء الشباب يطوفون العالم من أجل طرح قضية السلام أو نبذ الحروب عن منطقة الشرق الأوسط وجمع التبرعات لصالح القتلى والأرامل وبناء المنازل المهدومة بدلاً من النط والقفز والهيافة التى شاهدناها على مدار يومين، يوم الوصول ويوم الحفل، وقد نجحوا فى استفزاز الناس فى هذا التوقيت الحساس"، مجلة حواء، ماجدة محمود، فى ٢٠٠٤/٥/٢٩م.

(٢) انظر مجلة كل الأسرة، ٩ أبريل ٢٠٠٣م.

سيما المراهقين، وكأن هناك شبكة خاصة مهمتها نشر الموبقات الغريبة، حتى قربت المسافة بينه وبين الآخر الغربي، من ذلك تسريحات غريبة للشعر واللحية كما أسلفنا بألوان مختلفة تتراوح بين الفاتح والداكن.

وذهبت الفتيات بدورها إلى تقليد ملكات الجمال العالميات في اختيار لون الشعر وتسريحته وما إلى ذلك من سلوكيات.

ومما داهمنا ذلك الوشم الذى يضعونه حتى على القفا، وهناك أيضاً سيارات الموت الجماعى، موضة داهمت الشباب تحت تأثير التقليد الأعمى، لما يرونه فى أفلام الإثارة "الأكشن" وهو أمر مقصود لاستنزاف الشباب العربى، لأنه كلما مات شاب ماتت الأمة، فالأفضلية للغرب حتى فى سيئاته، بسبب استسهالنا للتقليد والشعور بالدونية واحتقار الثقافة المحلية، وهنا تكون العولمة أو الأمركة قد أصابت هدفها.

فلقد أصبح البنطلون الجينز هدفاً وأصبحت وجبة الهامبورجر حلماً حضارياً وأصبح أبناؤنا تبعاً لثقافة متعدية، ومراكز التسوق على ذلكم من الشاهدين.

٢- عنت الشاب بعد زواجه بالمتفرنجة :

نعم فهو شاب له جذوره الإيمانية، ولكن قد تستهويه فتاة متفرنجة برزت له مفاتنها، فأقبل عليها لتكون هى قرينته وشريكته. فإذا بها مصابة بجرثومة التفرنج والتقليد فتأتى بسلوكيات لا مرحباً بها كأن تستهويها حفلات "البارتى" فإذا به يضيق بها ذرعاً، وهو ما يهدد مصير الأسرة بالفشل أو التمزق الأسرى .

٣- والمدمنون الجدد غارقون للأذقان :

هم من أبناء المترفين والراقيين، أعمارهم من الثانية عشر حتى الثلاثين وهم جميعاً فى سلة واحدة، أجاء بهم الترف المتآخى مع فقر الثقافة الإسلامية، إلى عقار النشوة والشهوة أو ما يسمى "الاكستازى"، وهو مخدر مدمر موطنة أوروبا أو الغرب بوجه عام، يروجون له فى مجلات الديسكو، وتبدأ المأساة، ليقعوا فى براثن هذا المخدر، لينتهى بهم المطاف إلى غياهب السجون وتصدع الأسرة وزوال النعيم المقيم.

من سول لهم وأملى لهم، هو تقليد الغرب ولا نبرئه من الاتهام.

لقد جنت عليهم أيضاً النشأة الأولى والتى خلت أو خوت من الحصانة الفكرية التى تدرأ عنهم أشرار البرية[١].

٤- مطرباتنا من التغنى إلى التعرى ومن اللحن إلى اللحم [٢]

نقلة حضارية كبرى نصفق لها : مأساة تدور رحاها ويسقط ضحاياها على شاشات القنوات الفضائية العربية كل ليلة، تحاصر العرب من المحيط إلى الخليج بكل ألوان الفن الهابط والكم الهائل من المطربات شبه العاريات، حتى أننا قد نصبح بعد وقت قصير على شفا أعتاب العرى الكامل، فمن يقف وراء هذا الهجوم الضارى على أجيال هذه الأمة والتى يكاد يغرقها فى مستنقع قد لا تخرج منه أبداً.

نعم إن من حق الأجيال الجديدة أن يكون لها فنها وذوقها ولكن ليس على حساب الفن الأصيل المؤثر فى حياة الشعوب، فالفنان الأصيل صاحب رسالة أمجد.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٢/١/٥م، ٢٠٠٢/١١/٩م

(٢) انظر: فاروق جويده، الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/٨م.

لماذا يتحول المغنون فى العالم العربى إلى تجار يعرضون اللحم العربى، يبدين زينتهن ما ظهر منها وما استتر، وعلى شاشات الفضائيات لعله يعوض القصور الذى انتاب الكلمات والألحان والصوت الحسن، ليتداخل الغناء العربى مع الأجنبى، ما هى الأيدى الخفية التى تحركها أو تمولها وليغرق الشباب وليفسد الذوق وينكب المراهقون على مشاهدة الأجساد وسماع المطربات فقط، ولتجئ الأمة العربية كل ليلة تتعقب أوحال السفالة الجميلة بوجدانها أو تتلذذ بمشاهدة أجساد النساء وهى صاحبة التاريخ العريق والفن الأصيل.

• هل هناك علاقة نسب أو مصاهرة بين التدنى الثقافى الكائن والسقوط السياسى والعسكرى وبين انهيار صرح الغناء فى العالم العربى بعد أن كدنا لا نفرق مطربة عربية وأختها الأجنبية ذات الأسوة الحسنة.

٥- التغرير سيما بالفتاة الخليجية :

كانت هى آخر القلاع الحصينة فى سلوكها المعتصم بكتاب ربها، فقد نجت بلادها من الغزو الاستعمارى والسلوكى، وقد أمدهم الله بمال ممدود ولكن لم يصحبه ثقافة إسلامية عاصمة من الشراك الخداعة، فتمردت على الأعراف ودخلت فى مستنقع السلوكية الوافدة حتى صارت تلبس زياً لا يناسب قدها وقوامها وقومها.

ولا مانع فى بعض البلاد العربية اليوم أن تراقص الشباب فى حفلات الترفيه، وبالجملة أصابها بدورها ازدواج فى المعيار وشعور بالدونية، ابتداء من شعرها إلى نعلها سيما إذا كتب لها أن تسافر خارج بلادها، فسرعان ما تتمرد على ردائها مع ما فيه من حسن سمتها ومظهر دينها.

ثالثاً: الوقوع فى التيه الثقافى :

نعم شكلت عقولهم فى مناخ غريب فأصبحوا لا يـرون ألا مـا يرى الغرب وأشربوا فى قلوبهم حبه بما له وما عليه، وهم فى ازديـاد مضطرد، ثلة من اليساريين واللادينيين، العداء للإسلام مـنهجهم، مـع أنهم ينعمون فى ربوعه، ديدنهم الترويج لقضايا المرأة وإدعاء نصرتها، مع أنها آمنة مطمئنة، وامرأة الغرب هى الأحوج إلـى النصـرة، هـم يدعون إلى الإسلام ومع ذلك يتربصون بأهله الدوائر ويقعدون لهم بكل صراط سيما رجال الدين، وحقيقة هؤلاء أنهم أقـرب إلـى السماسـرة للغرب من أبناء الوطن، ومع ذلك تنفتح لهم الأبواب فى أماكن الصدارة ويسعون سعياً حثيثاً لجمع صفوفهم وشتاتهم ليكونوا أكثر نفيراً فى البلاد العربية سيما التى اكتوت بنار الغزو الفكرى، ويطلقون سحابات كثيفـة من الدخان للتمويه والتضليل، ولا يتقيـدون بقواعـد المنطـق وآداب المناظرة، يطوعون أفكارهم للتواءم مع المجتمع، ويسوقون الأدلة فـى غير موضعها، وقد نجم عن ذلك أمرين :

مثقفون للبيع :

أحياناً يحملون أعلى الشهادات ويتبوأون مقاعد القدوة والصـفوة فى أممهم، ولكنهم فقدوا الاعتداد بالحس القومى أو الدينى، ترى كثيـراً منهم يتغافلون سهواً أو عمداً عن البون الشاسع بـين منظومـة القـيم الإسلامية والغربية، فقيمنا هى خلاصة ما أوتى النبيون من ربهم أمـا عندهم فهى مما عملت أيديهم، فكانت النتيجة أن التيارات الوافدة صارت تجرفهم كالسيل المنهمر فإذا عصفت به الريح تحول إلى ليبرالى عنيد، وبعد فترة قد يتحول إلى داعية للرأسمالية، يستخفون بقومهم المسـلمين

يجوبون بين المذاهب ويطوفون ودعواهم التقدم كما تقدم الغرب، فكثير منهم في البقاع همهم أن ينتقدوا أركان الإسلام وأن يجادلوا في البديهيات، وأن يخطئوا دون حرج باسم حرية الرأى لإهدار شريعة الصوم، وتذهب عصابة حرية الرأى كما يسميها الشيخ الغزالي إلى التحريض على إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس كما في السويد، حين حملت تلميذتان كل منهما من زميل لها في المدرسة، ولم تر الحكومة هنالك بدعاً من الأمر. وهناك من يشجع المرأة اليوم على ارتداء المايوه كأنه أصبح حقيقة أكبر من هيئة كبار العلماء وتلك أمانيهم، بانكسار شوكة الإسلام، وهذا من ثمرات الاحتلال الأجنبي أو الغزو الثقافي، فصارت تحاك المؤامرات ضد الشرق والحياة والحشمة والعصمة [1].

تشوش المثقف العربي بسلبيات الفكر الغربي واختلال المنظومة الفكرية سيما لدى الشباب :

المثقف العربي صار يجتز أحياناً أفكاراً من نحاس مطلية بالذهب، تموج بزخرف القول غروراً تصيب عقولهم وحسهم لتتركهم أسارى في سرادق الانبهار والتقليد، عروس اليوم مثلاً ثقافتها إنجليزية أو فرنسية دون أن تدرى فحوى هذه العبارة وما تحمله من تبعية ودونية لغير قومها، والمساواة بين الجنسين أمنية الأماني، وقد أعملت ذلك بعض الدول الإسلامية في الميراث، وتلك فتاة عادت من الغرب من رحلتها الدراسية، شرقه الشيوعي أو غربه الصليبي لتتنكر للسلطة الأبوية والأدبية، ترى فيها انتقاصاً للمرأة.

---

(١) محمد الغزالي، ظلام من الغرب، ص ١٤٩، وما بعدها.

والمرأة المثقفة صارت تستميت فى الدفاع عن العمل أكبر من دفاعها عن الأسرة التى أهلت لها، نعم لا جناح عليها إذا اضطرت للقمة العيش، أما أن يتحول العمل إلى سوق أغلبه من النساء لينقسم عقل حواء بين البيت والعمل، فكم تصاب بالتشتت الذهنى، أما الضحية فهم أطفال المفاتيح، الذين يحضرون إلى المنزل قبل حضور الوالدين من عملهم ومعهم نسخة من المفاتيح.

فأطفال المفاتيح نتاجُ أم تخلت أو أب مشغول، الأم تاركة دورها لمعاقل الحضانة لتنتكس الراية فى ميدان الأمومة، ومرحباً بالتمرد والعقوق والفسق المبكر وقرناء السوء وضياع مستقبل الأم والأمة.

والاختلاط بين الفتى والفتاة صداقة بريئة وتَحَضُّر، والمدنية فى التبرج، والمرأة لا تثير غريزة الرجل تلك الكاسية العارية، وإذا شئنا التقدم كالغرب فحضارته بخيرها وشرها دستورنا.

اسألوا ديار المدنية الغربية عن حفلات الرقص مع النساء ومحاصرتهن، العين فى العين والوجه فى الوجه والصدر فى الصدر، والشفاه أمام الشفاه والعينان واليدان، فهل الكاسية العارية لا تثير غريزة الرجل وتحرك كوامنه؟ وهل الاعتياد على قضاء الشهوة أصبح من الفضائل، كم ينال الرجال الأجانب شهواتهم من الأخريات والتى تبدأ باللمس والهمس وتنتهى بالإجهاض وأولاد الحرام.

والديموقراطية الغربية عندهم هى أمثل نظم الحكم، أما النظام الإسلامى فهو لا يليق بالعصر، فشريعة قطع يد السارق ظالمة، والعقوبات الشرعية وحشية وتتنافى مع الإنسانية، أما إبادة الملايين بمبيدات الأمم فنعماً هى، والعربدة والخنا عمل لا ضير فيه فهو أجمل الحريات، بينما العفاف والطهر قيم بالية!!.

والعقلانية كذلك تعبير غربى يقصد به تنحية الدين جانباً، وهو تعبير كذاب أخاذ، فأى عقل نتبعه عقل الرجل أم عقل المرأة، عقل الشاب أم الشيخ المؤمن أم المسيء، عقل الفيلسوف أم الأحمق، عقل العالم أم الجاهل، العازب أم المتزوج، الصغير أم الكبير، عقل الأب أو الابن؟.

والماركسية التى تعتمد على عبادة المادة وهدم الدين بالكلية تغرى بنينا بالفساد قائلة: أن الدين أفيون الشعوب، مخدر لها، يحجب عنها همومها، فهل الإسلام مخدر لشعوبه، حتى نأخذ من الحضارة الغربية خيرها وشرها فدعواهم تلك داحضة، فالتقدم العلمى لا يشجع على السلوكيات الهابطة والتى تعيش بسببها الحضارة الغربية فى مأزق حقيقى أقله الضياع الدينى وهضم حقوق الإنسان. إن التقدم العلمى ليس من لوازمه السلوكيات المرذولة، فاليابان اليوم فى أوج مجدها ولم تبدل سلوكيات أهلها، والتقدم التكنولوجى فى الغرب لم يأت غداة أن كشفت المرأة عن ساقيها، ولو أن النساء صرن كلهن كاسيات عاريات فهل يكون قد أذن مؤذن بدخول دولة فى باحة المجد وساحة الحضارة ؟!.

المتبجحون بعداوتهم للزى الإسلامى [1]:

من حق كل إنسان الظهور بهويته القومية والدينية وليس هناك سند أو مبرر لأن يفرض الآخرون على الآخرين زياً يتشابهون فيه، وليس من حق أى حضارة أو مدنية بعينها أن تنازع الناس حرية اختيار ما يشاءون. إلى هذا التدنى صار الاحتشام مؤذياً أو مقززاً للآخرين،

---

(١)الأهرام فى يوم ٢٠٠٣/٣/٧م.

لماذا تتمتع نساء الثقافات المختلفة بهذا الحق فى حين تنكره على المرأة المسلمة، أليس الزى حق من حقوق الإنسان لا يمارى فيه إلا مكابر، لماذا لم ينكر أهل الشرق على الراهبة زيها، لا بل هم يمعنون فى إجلالها وتبجلها بسبب زيها المحتشم المتألق، بل إن الإنجيل يقول "ولما رأت ملاك الرب أرخت حجابها" نعم لكل مجتمع أعرافه النابعة من ثقافاته، ونستطيع أن نميز بين الشعوب بمجرد النظر إلى الزى سيما زى المرأة، والمرأة المسلمة أولى بهذا، ولكنه أكبر فى صدورهم، إن ما يحدث من عدوان وعداء متكرر ومتجذر للزى الإسلامى فى بلاد المسلمين هو نقيصة خُلقية ولم تقل به شريعة أرضية أو سماوية.

ونفر من جهابذة القانون أسارى فى شباك الغرب

رجال القانون على اختلاف مواقعهم أساتذة فضلاء ونابهون أجلاء، بيدهم مقاليد الأمور فى أوطانهم وهم غالباً ما يجمعون بين سلطة التقرير والتقنين، منهم من أدركته الصحوة الإسلامية فأضحى معتزاً بديانته فى مؤلفاته، ومنهم دون ذلك ممن استحوذ الانبهار على عقولهم، فأمسى مفتوناً بالثقافة الغربية فى مجال القوانين الجنائية مع أن جذورها ضاربة فى تربة لا دينية، شريعتنا عذب فرات سائغ شرابه، وهى أنكى وأنقى.

إن أهل الثقافة القانونية الراقية يعلمون علم اليقين أن الشريعة الإسلامية ما عاش تحت ظلالها مغبون، وأن القوانين الغربية انكشفت عوراتها فى مجال الأخلاقيات والسلوكيات، وعطلت عندنا نصوصاً من قوانين السماء وستظل غريبة على أحاسيسنا مهما طال عليها الأمد،

فهى كالجسم الغريب الذى ينتظر الاستئصال، إن الوهج الذى أعمى كثيراً من العيون أيام سطوة الاستعمار لم يعد يحجب اليوم سلبيات الحضارة الغازية والتى بدأت تظهر حتى فى عقر دارها، وباتت تعانى منها شعوبها، لاجترائهم على القيم وارتكابهم لما نهوا عنه، فتدهورت أخلاق النساء والولدان وحلت الشذوذات المسلكية التى تقود إلى إفناء البشرية، وهو ما جعل كثيراً من عقلائهم يتلاومون، ويبحثون عن شرع جديد يخلصهم من الموبقات التى اقترنت بالمعجزات.

لقد حققت اليابان تقدماً مذهلاً وهائلاً رغم تمسك أهلها بدين خرافى وأعرضت عن اقتباس تشريعات الغرب بعدما أذاقها لباس الجوع والخوف فى الحرب العالمية.

إن التقدم ليس من لوازمه الاستيراد القانونى، فما بالنا إذا كانت سلوكياتنا قد مكنت لنا فى الأرض قروناً طويلة، وأقامت حضارة باسقة لها طلع نضيد، وخلفت لنا وللعالم أعظم تراث إنسانى وحضارة تؤتى أكلها كل حين.

فتشريعاتنا بحورها زاخرة جمعت فأوعت، فيها الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لعللنا، وهى براء من النقائص الإنسانية التى تحتويها التشريعات الوضعية التى هى من صنع البشر.

إن القوانين الوضعية المستوردة على قلتها قد أظهرت إفلاسها فى مجالات الرشد الأخلاقى، فكثر العتاة وغلظ المجرمون وظهر الفساد فى البر والبحر، ولو أن أستاذاً فى القانون الجنائى سطا عليه لص ملثم فاجر وغادر فجرده من ماله وثيابه وجميع أهله وأذاقهم لباس الخوف والإرهاب فإنه لن يطالب بتطبيق العقوبة المستوردة من بلاد الأجانب

وإنما سيجار قائلاً خذوه فغلوه، بل اقتلوه، ولو أن ذئباً بشرياً هتك عرض عزيزة لدية أو كريمته فلن يرضى إلا بضرب الرقاب، ولن يتمسك بعصم الكوافر، بالقوانين التى يكون قد وضعها، وصدق العزيز الحكيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

إنه لا تثريب علينا من اقتباس أى قانون أجنبى طالما لا يصادم نصاً مكتوباً أو حداً محدوداً أو يخالف روح الشريعة الغراء بجلاء.

إن مرضى الأسر الثقافى فى مجال قانون الجزاء يخيل إليهم أن التشريع الغربى قد وصل إلى منتهاه بتقعيد القواعد وتفريغ الفروع إلى درجة لم يصل إليها التشريع الإسلامى، وهم معذورون فى هذا الوهم لأن أمامهم تشريع يحيه التطبيق المتجدد وتصله بواقع مجتمعهم عوامل شتى، أما التشريع الإسلامى فهو كنوز ثمينة مدفونة تحت الثرى وهى أنفس من المعدن النفيس.

والحقيقة أن الفقه الإسلامى بلغ فى العصور الأولى شأوه ومجده ويضارع ما بلغه التشريع الحديث فى أزهى مواطنه اليوم لا بل يتفوق عليه؛ فهو يقوم على أصول من وحى السماء فينطلق فى مجراه الممهد لحلول مشاكل البشرية، ولذلك فهو يصلح للتطبيق فى كل عصر ومصر

إن الدارسين فى الشرق والغرب يبحثون فى عالم الشرائع اليوم عن مخرج لعللهم، بعد إفلاس شرائعهم، وشريعتنا فيها رحمة للعالمين لو عرضناها على يد علماء كرام بررة كما ينبغى لجلالها.

إلى متى يتحمل واقعنا المريض كيد الأعداء وعجز الأبناء، نحن لسنا بصدد مقاولات وإنما سلوكيات وأحاسيس. ذروا ما بقى من الاقتباس غير الممدوح، تلك الفئة القليلة من التشريعات الوافدة التى تتصل بمكارم الأخلاق، وما كان ينبغى أن تبقى أكثر مما بقيت، ويومئذ يفرح المؤمنون .

إن بلداً كإنجلترا ترفض بإباء أن تُحْكَم بشريعة المسلمين، فهل يظل المسلمون محكومون بشريعتهم وقد رحلوا عنا، كم هو أضحك وأبكى، فَلِمَ نأتى بضرائر للحسناء ؟ .

إن المتعصبين للقوانين الوضعية ما نحسب عامتهم على دين كما يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابة "الحق المر"، والمرء أحيانا قد يتعصب لخير موهوم وهو شر مستطير، جربوا شرائع الحدود والقصاص عاماً أو بعض عام تعيشوا فى ظلال الأمان عاماً بعد عام.

هل هناك من أساتذة القانون الجنائى فى كليات الحقوق فى البلاد العربية من يعرف قبساً من التشريع الجنائى الإسلامى، من منهم يعرف القسامة أو الإرش وأحكام الديات؟ وهل هناك تبعاً لذلك من قاض فى بلادنا العربية سوى السعودية واليمن يعرف تلك الأحكام وإن كان فقليل ما هم، إلى هذا الحد هم قابعون فى سرداق الأسر الثقافى للثقافة القانونية الغربية.

رابعاً: عصر شبه الأسرة

أ- أطفالنا والعنف الطارق :

الخطر السام يطرق معاهد التعليم، فيحول البراءة فى الأطفال إلى غير ما أهلوا له، أحداث فى المجتمع الغربى فى فرنسا وفى

أمريكا فى أعنف سلوك إجرامى اتسمت به أخلاقيات أطفال العصر، الذين وجدوا قدوتهم فى أبطال العنف الهوليودية وعصابات المافيا والألعاب التى تهيئ الصغير كى تكون دميته سلاحاً نارياً، فى عصر تراجعت فيه القيم الدينية وتصدرت الحرية وانكسار الروابط الأسرية، حوادث بالجملة منها مقتل وحيد مطعوناً حتى الموت بين أصدقائه لخلاف بسيط لا يستدعى أسلحة يحملها المراهقون، وتكون ضحيتها أعز صديق لديهم، وفى تكساس مثلاً مقتل أب برصاص ابنه وعمره (١١) سنة بعد أن علمه أبوه الرماية كل يوم، فإذا به ينفذ ما تعلمه ضد أبيه، وصدق عليهم إبليس ظنه وذلك جزاء سنمار.

فى بلاد العرب شر قد اقترب، مدارس المشاغبين والتسيب التربوى، أحداث جسام، وتقليد مذموم، والبلطجة بين التلاميذ، واستعراض القوة. يعيشون عصر قنوات الفضائيات التى تبث العنف والجريمة فأصبح لهم سمة سلوكية، وينتهى الأمر بكارثة اجتماعية فالعنف يولد العنف.

ب- إغراء العداوة بين الزوجين :

لقد أوضحت الدراسات النفسية أن الأزمات العائلية فى أمريكا فى تكاثر فى مجتمع اجتمعت فيه المعجزات مع الموبقات، لتخلى المرأة عن بيتها ومغادرتها لمملكتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل حقا ولكن تدنى الأهل، وقد أثبتت الأبحاث أنه لا مناص من عودة المرأة إلى عرشها لإنقاذ الأجيال من الضياع، كما هو شأن الإسلام، فالإسلام ذو فضل على المرأة ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وتعانى الأسرة المسكينة هناك من الإحساس بالفتور والمعاناة النفسية الناجمة من التفسخ الاجتماعى، بسبب تغليب المادة على المودة، ومن ثم كان نضوب العاطفة داخل البيت الغربى، سيما وأن العلاقة الجنسية تبدأ بين الفتى والفتاة فى سن مبكرة، ثم يتلوها الزواج إن استمرت تلك العلاقة المؤثمة.

والمرأة عندنا بدورها خفت موازينها نتيجة ثقافة تحريض المرأة، فأغلب الأسر المفتونة بالتقاليد الغربية تعيش بدورها عصر شبه الأسرة، وأول المكتوين بالنار هم "أطفال المفاتيح" وكم من زوجة بطرت معيشتها وخيرت بين زوجها وعملها فاختارت الخيار الأخير، منبهرة بالمساواة الواهمة، متناسية أن الأسرة هى الينبوع الذى يمد الأمة بالقوة والفرد بالسعادة، وكل أولئك مرهون بالتكامل المنشود بين الرجل والمرأة فعلاقة الذكر بالأنثى داخل الأسرة هى تكاملية يكمل بعضهم بعضا وليست مساواة تجر إلى النقاش والصراع.

لقد جنى مبدأ المساواة على المرأة فأتى بنيانها من القواعد، وأخرج النساء بالملايين من بيوتهن إلى الدواوين يصادمن المتاعب كل يوم فى وسائل الانتقال أو داخل الأعمال.

إن الإسلام هو دين الرشد الأخلاقى، جعل الأسرة فى أحسن تقويم، لا يقاس نجاحها بمدى ما غنم أو غرم كل شريك، وإنما هى رباط مقدس تغشاه رحمة الرحمن ومودة الإنسان. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]

جـ- تصدع السلطة وبداية المخاوف

ولقد تساءل الباحثون (فى المركز الفرنسى لأبحاث السكان والتنمية) أين ذهب رجالنا؟ ونحن من جانبنا نتساءل هل يوجد رئيسان لدولة واحدة، فمجتمع الأمومة عندهم صار هو المهيمن، حتى إنه يمكن نسب الطفل لأمه دون أبيه سيما حين يتفشى اتخاذ الأخدان - وهى المعاشرة الجنسية بلا زواج - والأسرة التى تشهد تحولاً ويتم فيه تنحية الرجل، يجرها إلى مجتمع مائع الملامح، إلى البربرية الأولى التى كان الرجل فيها يختفى بحثاً عن الرزق، واليوم فالتفكك الأسرى والحرية المفرطة والفوضى الجنسية والخيانات الزوجية تدفع بالرجل إلى الفكاك من أسرته[1].

انهيارات جليدية تتوالى تنذر بالذوبان، فتمرد الأبناء والعقوق من ناحية وتحريض الزوجة على زوجها من ناحية أخرى، تيارات زاحفة وعاصفة.

وكان لابد أن يتسرب الغاز الخانق إلى عوالمنا بفعل أدعياء التحضّر والرقى، فالمتفرنجات صرن يأتين بتصرفات مرذولة تقض مضجع الرجل وتهزأ بمسئوليته عن رعيته، يحدوها الأمل فى أن تحقق ذاتها، وهو هراء تصغى إليه أفئدة المثقفات ولكن لا تفقهه.

والعواقب الوخيمة تترى، فأبناء الغد المأمول يفقدون مبكراً حظهم من الرشد الأبوى، ولا ينالهم سوى التناحر العائلى، وهو ما يرشحهم للضياع الدينى والاجتماعى .

---

(١) المسلمون العدد ٦١٦ فى ١١ رجب ١٤١٧هـ، ١٩٩٦/١١/٢٢م.

والقوامة ليست عقدة أو ثغرة فى قطار الحياة الزوجية، ولكن العقبة هى فى زعامة المرأة والرجل معاً، أو فى رجل يتاجر بالقوامة ويختال بها، والدين من ذلك براء، ولو كانت العصمة فى يد المرأة وآلت عقدة النكاح إليها، لما وجدت امرأة متزوجة على وجه الأرض، ومع ذلك تزداد حالات العصمة بيد المرأة يوماً بعد يوم، بحيث يصير الزوج أشبه بسوار فى معصمها، ويتحول الأزواج إلى أشباه الرجال، وتتحول المسلمة إلى ند للزوج متكبرة متجبرة، إن شاءت نقضت غزلها بجهالة ثم تُسر الندامة فى عمرها الباقى .

نعوذ بالله من سوء المنقلب ومن كل داعية لرؤى الغرب، فالغرب لا زال يحسدنا على الترابط الأسرى المعهود والمشهود.

إن من الحقائق المهمة أن كثيراً من أنصاف المتعلمات أقدر من حملة الشهادات على إنجاح الحياة الزوجية، سيما إذا كن أثرياء فى الثقافة الإسلامية، وجيل النوابغ الذى ظهر فى العشرينات أغلبهن من أمهات أميات لم يذهبن إلى الدواوين.

د- التمرد والندية :

قبس من الثقافة الغربية تنال من السلطة الأبوية حين يصل الولدان سن البلوغ فتحس منهم الخوف، أو انهيار النفس والأدب فى تبجيل الوالدين.

إن الأسرة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، تآلف يحكمه وثاق غليظ ووثيقة حارة، الآباء مخلصون لبنيهم رحماء بهم، والأبناء طيعون لهم كراماً بررة بهم، الجميع فى مملكة تلفت الأنظار والأبصار،

ولكن أهل التنوير يودون لاتباع محمد رسول الله ﷺ أن يتحولوا إلى أخلاق الثعالب أو طبع الذئاب، ليكونوا فى زعمهم تقدميين وعصريين يضيق صدورهم بتماسك الأسرة المسلمة، يبثون سمومهم التى تحرض الأبناء على العقوق والندية للوالدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

نعم إن الديموقراطية داخل الأسرة مبدأ هام ولكن تجريح الآباء مبدأ هدام، مرحباً بكل نافع مفيد أو اقتراح جديد يقدمه الفتى أو الفتاة لذويهم ولكن إذا قضى الأبوان أمراً فإليه المصير، فلديهما الخبرة فى الحياة ومن العلم ما لم يصل إليه الأبناء.

وباختصار فإن أدب الحوار الراقى له جزء مقسوم فى بيتنا يشرف ديننا، ولا مرحباً بقيم الذئاب بين أبناء الأسرة، وإن الالتزام بالأدب عند من وجب الشكر له يتيح مناخاً ملائماً لحياة طيبة هانئة بعيداً عن خسيس السلوك.

خامساً : التقدم الاستهلاكى والتطور الساذج :

من الثوابت فى كل عصر أن من يحوز القلم والعلم يحوز القوة والمتعة، ولكن عالمنا الإسلامى اليوم فرح فخور بكل ما أنتجته التكنولوجيا الغربية، والتى صارت فى متناول يده، فخيل إليه أنه يعيش عصره بينما هو يتيه فى التيه، وتحت شعار خادع مموه هو التطور، وهو مجرد تقدم استهلاكى فى المقتنيات، أو قل تطور ساذج سيما فى بلاد الاقتصاد الفقير الذى يأتيه الموج من كل مكان، يهدد بخطر الابتلاع والاقتلاع.

وقد غرقت أجيالنا فى مستنقعات التقليد فى غيبة المنهج الإسلامى الرشيد، يا ليتهم رمقوا روافد النهضة ولكنهم مكبين على وجوههم فى حيازة (كاسيتات) عمالقة الغناء، وشغلنا أنفسنا وأموالنا فى البحث عن مبتكرات الأناقة وتسريحة الشعر والتليفون المحمول الذى لا يبدى ولا يعيد بالنسبة لأهل الفاقة والفقر، ولم يقدم خدمة جليلة للاقتصاد العربى، سوى نمط جديد فى التقدم الاستهلاكى وانتشار الثرثرة من جانب المترفين، وهو خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وقد ظهرت بين شبابنا حديثاً ثقافة المرسيدس، وهى ثقافة ذات أصداء واسعة فى عقولهم فى أنواع السيارات وأشكالها وألوانها، وكل دقيق عنها وفى بعض الأحيان يكون هؤلاء بين طبقات كادحة فزادت لديهم حمم القلق والأرق.

وهاهم الأغنياء والمترفون الجدد ينفقون الملايين تلو الملايين على أكل القطط والكلاب المستورد، وبينما علماء الدين والاجتماع يحذرون من تزايد العداء الطبقى [1].

والهدف الأسمى للتغريب هو نساء المؤمنين لجرهم إلى التقليد وإلى المحاكاة، حتى فتيات الخليج العربى كما أسلفنا، وتبديد أموالنا شغل شاغل لنسائنا، فتقاليع الموضة المتبرجة تحوز مساحة كبيرة من دخلنا ومع أن كل شئ يتغير من عام إلى عام، والمرأة تلهث بين المحلات والرجل يدفع، والمشاكل تتفاقم وتتراكم، والدواليب تئن من كثرة ما حوت. ويلحق بذلك أنشطة كثيفة تود زرع الخنا فى المجتمع العريق، ببريق جذاب يستهوى الغرار الأغرار.

---

(١) جريدة الحقيقة العدد ٧١١ فى ٢٠٠٢/٧/٦م

وقد يسأل سائل لماذا لا نأتي بالجديد، وجوابنا أن الجديد هو المفيد، والعصرية ليس معناها إلغاء الأصالة، والمرأة في حياتها رحلة طويلة لا تنتهي عند اللباس والزينة، وإنما القيم النبيلة، والتجديد البنّاء الذي يُخرج شعباً طيب الأعراق، يمثلون على مسرح الحياة دورهم.

الحذر كل الحذر أن يلجئنا التقدم الاستهلاكي الساذج إلى السؤال، أو أن نجلس على مائدة اللئام كالأيتام، وحينئذ فلا ندري ما يُفعل بنا يومئذ.

لقد كنا في النصف الأول من القرن العشرين فقراء ولكن سعداء، فهل يكون واقعنا اليوم هو الانطلاق لتحقيق الشهوات الاستهلاكية والقعود مع القاعدين عن الدخول في سباق أو صراع الحضارات [1].

سادساً : أضرار صحية تصيب المقلدين:

١- طاعون الغرب يطرق الأبواب :

ليس من قبيل الشماتة أنه يولد كل يوم في فرنسا مائتا طفل مصابون بالإيدز، وحينئذ يصبح الولدان شيبا أو يكون وليداً وقد شاب شعره، فما أغنى عنهم جمعهم ولا شفع لهم التقدم العلمي، وإن تعجب فعجب أن تعلم أنه إلى عهد ليس ببعيد كان الشذوذ الجنسي يصنف في سجل الآفات والسلبيات، ولكن اليوم له منظمات وجمعيات تطالب بتقنينه وإتيان الفاحشة، ويقال إنها بدأت تعرف طريقها إلى المجتمعات الإسلامية المحوطة بحزام الفقر حيث يستدرج الصبية الساذج إلى

(١) د. محمد السيد سعيد، الأهرام في ٢٠٠١/١٢/٢٤م.

حفلات شاذة تغرى الصغار بالانحراف الجنسى، كما أن اعتياد الشباب مشاهدة التعرى والأفلام الإباحية الفاضحة المنقولة إلينا عبر الشاشات الفضائية يصبهم بأمراض شتى، وأخطرها ما يصيب غدة البروستاتا فى وقت مبكر وهو ما يؤثر بعد على الطاقة الجنسية بعد الزواج، وحقاً كما يقول القرآن الكريم ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠] (١).

فكيف نوقف زحف المتسلل الذى يريد أن يتسور حصوننا

والطفرة التى شهدها العالم فى مجال الاتصالات سهلت من عملية الإطلاع على ما يحدث فى النصف الأكثر تقدماً من العالم، خاصة فى مسائل التعامل مع الحياة، فالمرأة الغربية كما يصورها إعلامها تتفنن فى إرضاء الرجل فتقدم كل شئ دون أن يطلب، وضربوا لذلك مثلاً بالأفلام الإباحية والتى تعارض القوانين السماوية والتى تؤثر فيما بعد على الصحة العامة، والتى لا ينكر أحد أن هناك تهافت بسبب عقدة الخواجة فى تلك الأمور مع أن آداب المباشرة والمعاشرة الزوجية مبسوطة عندنا فى كتب الثقافة الإسلامية بما يضمن للزوجين السعادة التى لا يفوقها سعادة، وما يتلوها من الهناء العائلى .

٢- أمراض بسبب ارتداء المايوهات :

هذا ما توصل إليه فريق من العلماء البريطانيين فى أن ارتداء الملابس القصيرة كالمايوهات فى المصايف تزيد من احتمال تعرضهن

---

(١) جريدة النبأ العدد ٧١٩ فى ٢٠٠٣/٦/١٥م.

لخطر الإصابة بأخطر أنواع السرطانات والذى يعرف باسم (الميلانوما)، إلى جانب الاكزيما والارتيكاريا الشمسية فضلاً عن ظهور البقع البنية والنمش والشيخوخة المبكرة، والميلانوما التى تجلب الأورام الخبيثة بالأرجل ثم فى كل أجزاء الجسم[1].

يقول الدكتور **عزيز أحمد خطاب** إنه نتيجة للموضة الغريبة والهوس الذى يجتاح عالمنا العربى بدأت السيدات فى ارتداء الجينز والضيق والاسترينش المطاط وكذلك الملابس الحريرية الضيقة، وكل هذه الملابس تعرض السيدات لمخاطر عديدة فى مقدمتها العقم وذلك لأنها تحتك بصفة مستمرة بالأعضاء التناسلية الخارجية وهذا الاحتكاك تتولد عنه حرارة تؤدى إلى حدوث التهابات شديدة فى هذه المناطق المهبلية الضارة وتكون مرتعاً خصباً للفطريات والبكتريا الضارة، ولذلك ينصح المتخصصون بعدم استخدام ملابس داخلية مصنعة من الألياف الصناعية والابتعاد عن الحرير بصفة عامة[2].

٣- شقاء المراهقين بإثارة موضوعات الجنس :

اهتم العلمانيون بالجنس باعتباره من الأسلحة الفتاكة فى محاربة الأديان، الإسلام أو المسيحية، حتى أصبح ثقافة عندهم، فأغرقت الأسواق بالكتب والمجلات المنتجة، وبالصور الفاضحة وذاعت وشاعت الأفلام الجنسية لتصبح أملا يترقبه الشباب، وهناك فى أوروبا محلات للجنس تستطيع أن ترى فيها جهرة ولقاء دراهم معدودة من أنواع الخنا والفحشاء مما لا يمكن وصفه.

---

(١) جريدة النبأ فى ٢٠٠٣/٦/٢٩

(٢) د. عزيز خطاب، النبأ فى ٢٠٠٤/٥/٢٣م.

كل هذا يطرح فى الأسواق ليغترف الشباب من الثقافة الجنسية وليظهر على مسرح الجناة بعد ذلك لا يعرف،حلالا أو حراما، فى حين أنهم فى قائمة المجنى عليهم، وأخيرا جاءت بعض القنوات الفضائية لتغطى سطح الكرة الأرضية بأحسن ثقافة تعرفها البشرية فبم إذن تبشرون وما هو مصير المراهقين ؟ وما هو شأن الجاهل بها الذى لم يغترف منها هل أصيب بالعجز كما أصيب المعاصرون الذين راحوا يتابعون الخطى لهثاً وراء الفياجرا، وما هو شأن الحيوانات التى لم تغترف من تلك الثقافة الرفيعة ومع ذلك تتكاثر وتتوالد .

وما هو شأن الذين توفوا دون أن يدرسوا تلك الثقافة الوافدة، المبهرة؟، ومع ذلك سعدوا فى حياتهم وأنجبوا ذرية طيبة وصاروا بعد ذلك نوابغ النوابغ.

إن الشباب يعلمون علم اليقين، ما يلحق بهم من أذى من جراء تكرار موضوعات الجنس، لأنها تهدف إلى عنت المراهقين مما يضعف حتى البدين ويضنيهم يوماً فيوم.

٤- الوجبات السريعة وأمراض العصر :

ازدراد الطعام له أصول وفنون بل ومدارس ومعاهد والا فإن العاقبة تكون خسراً وهذا تقرير من صحيفة الأوبزرفر البريطانية أن مفهوم بناء الجسم السليم قد بدأ يتوارى أو يحتضر بعد أن اجتاحت الوجبات السريعة كل الأسواق، وأصبح يتهافت عليها الأطفال والشباب سيما مع وسائل الإعلام الجذابة والأخاذة، وخاصة حين يعلن عنها مشاهير الممثلين ولاعبو الكرة البارزين، لتحمل فى طياتها أبلغ

الأضرار لما تحتوى عليه من نسب عالية من السكريات والأملاح والدهون والتى تجلب أمراضا شتى، وفى مقدمتها البدانة والتى تسبب العديد من الوفيات مع تناسى الأطعمة المميزة كالخضروات والفواكه ناهيك عن العجز والكسل فى ممارسة الألعاب الرياضية.

وهذا نذير إلى عشيرتنا الأقربين[1].

سابعاً: الأقليات والضياع الدينى (الاضمحلال أو الذوبان) :

أبناؤنا فى الخارج يكدون ويلدحون من أجل عيش شريف افتقدوه فى بلادهم مع ما وهبها الله من خيرات حسان يواجهون أو يواجههم إعصار مدمر، وهنا يكمن عضال الداء وموطن الابتلاء حيث يرى المسلم نفسه حائرا بين مبادئ الدين وواقع غير المسلمين، والذى يتجسد من سلوك مخالف لما أوتى النبيون من ربهم فهل يمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟

هل يتجرع هزيمة سلوكية ومسخ للهوية واقتلاع من الجذور سيما حين تصادق الفتاه أو يصادق الفتى وتتعمق الصلات فى الرقص والحفلات، فالنظام الاجتماعى هناك مفصول عن الدين لأنه نتاج ثقافة إنسانية ماعت فيها الحواجز بين الحلال والحرام وصار الشرف فيها بضاعة مزجاه، وحينئذ تكون سلوكيات الأجانب أشد وطأ على النفس المسلمة، سيما حين يذهب المسلم دون حصانة فكرية فيقع فريسة للتقاليد الأجنبية والأمية الدينية ويصل السكين إلى العظم حين تقبل فتاتنا على الزواج من مشرك أعجبها، وينتج عن كل أولئك أجيال لا تعرف كيفية

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/٢

التعايش مع الأخر ولا تفرق بين الخبيث والطيب، ناهيك عن مشـــاكل المراهقين ويتحول التأقلم مع الغرب إلى سراب خادع وقد يكون مصير الرجل الصالح هو الإيداع فى السجن لأنه مارق عن نظام الغـــرب، إذا اشتكت كريمته التى تغادر مسكنها لتنخرط فى ثلة المراهقين الذين مردو على الفسق المبكر، وحينئذ قد يصاب بالأمراض النفسية بسبب تجـــرع واقع مرير غريب على الحس الإسلامى الرقيق .

obeikandl.com

الفرع الرابع
جزاء التقليد المرذول
(الإثم ومعصية الرسول ﷺ)

أولاً: الحلال والحرام من تقاليد الأجانب:

يقول القرآن الكريم: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس:١٢] كما يقول تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢]، فكل صغير وكبير مستطر من الخبيث والطيب، وإذا جئنا لتقليد الغرب فالتقليد فى محاسنهم هو شأن ديننا لأنها أصلا بضاعتنا .

فإذا كان تقليد الأجانب فى النفيس فهو مباح بإطلاق، بل أحيانا يكون واجبا أو مندوبا، ومن ذلك المحاسن التى أسلفنا فيها القول كعدل الحكام وعلم العلماء، والإقبال على القراءة والإعتزاز بالقومية، وقد صاروا فى عصرنا مضرب الأمثال فى الشورى واحترام الآخر والرأى الآخر والدقة والإتقان وصدق الوعد والوفاء بالعهد .

أما كل سلوك مزدول يتجلى فيه التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فإنه يوقع صاحبه فى الحرام فعليه وزره بل وزر من عمل به، وهنا يقول القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠] مثل كشف العورات واندثار الكمالات واستيراد لغات مع لغتنا حسناء الحسناوات.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتقليد فى المساوئ يتردد بين الحرام والمكروه وخلاف الأولى على حسب ما هو مقرر فى أصول الفقه،

والرؤوس التى تتهافت الاتباع حولهم والأذناب كلهم فى قارب واحد أو سلة واحدة، ﴿**وقفوهم انهم مسئولون**﴾ [الصافات:٢٤]، والشاب العربى الذى انطلت عليه الملامح الأوروبية أليس فى ذلك إثم كبير ومعصية للرسول (ﷺ)، وكذلك الفتاة العربية التى يحسبها الجاهل أوروبية، لقد حذر البشير النذير من التقليد وسماه "اتباع السنن" فى الحديث المشهور الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام : **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبرٌ وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟**[1] وفى رواية : قال رسول الله ﷺ: **"ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب خدو القذة بالقذة"**[2] وفى رواية أخرى زيد فيها **"وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلتموه"** [3].

أفرايت أدق من هذا الوصف المعجز لهذا الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ ؟ وماذا وراء جحر الضب ؟ ! إنه تعبير غاية فى الدقة، ومثلٌ غاية فى الدلاله على المقصود من السير على الخطى نفسها ومواضع الأقدام ذاتها (شبرا بشبر وذراعا بذراع) لقد كان ما أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام غيبا فأصبح اليوم واقعاً ملموساً.

ثانياً: فتاوى إسلامية بشأن التقليد

سبق لنا فى الفصل الأول أن أوضحنا حكم الشرع الإسلامى فى بعض مظاهر التقليد.

---

(١) رواه البخارى كتاب الاعتصام، حديث رقم ٧٣٢٠ .
(٢) رواه أحمد فى مسنده برقم ١٧٥٩٩
(٣) حديث صحيح رواه الحاكم والبزاز (صحيح الجامع /٥٠٦٧).

ولقد سئل أهل بعض الذكر عن حكم حفلات الزفاف اليوم فأجاب بأن يوم الزفاف يوم من أيام الله المباركة فنلتزم فيه بالآداب الإسلامية ولا نرتكب فيه محرما، فلا يجوز شرعا فيه كشف العورات أو الاختلاط المرذول أو الرقص الفاضح والغناء الماجن [1].

والمرأة التى تصفف شعر الرجال تقليد يحرمه الإسلام وإذا كانت النظرة محرمة فكيف بالمرأة التى تتحسس أجساد الرجال .

وهناك من الملعونين ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء" أى المتشبهات بالرجال[2] وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **لعن الله المتشبهات مِن النساء بالرجال والمتشبهين مِن الرجال بالنساء** [3].

البنطلون الضيق :

هل لبس البنطلون الضيق للمرأة يوافق الشرع أم لا ؟، وهل تعرية الشعر والزراعين والرجلين أسفل الركبة جائز أم لا ؟

الإجابة: لبس المرأة للبنطلون الضيق المفصل لجسمها حرام شرعاً كما أن تعرية شعر المرأة وساقيها حرام شرعا.

وبالنسبة لحدود الزى الشرعى فهو كل ما يستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين شريطة أن يكون واسعا محتشما فضفاضا لا يشف ولا يصف بدنها .

---

(١) انظر ملحق الأهرام فى ٢٠٠٠/٩/٨ اسألوا الفقيه.

(٢) حديث صحيح أخرجه النسائى برقم ٦٥٦٢ وأحمد ج/٢٠/٣٤ وانظر فقه السنه للشيخ/ سيد سابق.

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد.

وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور فى الآخرة فهى عقوبة شديدة وهى من الكبائر شرعا، وبالنسبة لمن يشترط خلع المرأة لحجابها فى العمل والدراسة فأنهم أثمين شرعاً ولا يجوز للمرأة أن تفعل ذلك، قال ﷺ :" **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**"[1].

حلاق السيدات

تسأل القارئة من القاهرة قائلة: ما حكم الدين فى تصفيف الرجل لشعر امرأة أجنبية؟

يجيب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فيقول إن الله تعالى يقول " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظون فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"، هذا أمر من الله تعالى للرجال والنساء على السواء بأن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه لأن النظرة داعية إلى فساد القلب وذريعة للوقوع فى المحرمات .

وقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " **إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه**".

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٥/١٥ والفتوى صدرت فى ٢٨ رجب ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠٠١/١٠/١٥م.

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "**أن كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**".

وقد أوضحت الآية الأخيرة أنه يجب على المرأة أن تستر جسدها من قمة رأسها إلى القدمين وفقط يباح لها كشف وجهها وكفيها حسبما جاء فى حديث السيدة أسماء بنت أبى بكر عن خالد بن دريك عن عائشة "أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال "**يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه**" رواه أبوداود.

ولما كانت هذه النصوص من القرآن والسنة قد أوجبت على المرأة ستر جسدها من قمة رأسها إلى قدميها وحرمت النظر إليها من غير زوجها ومحارمها الذين بينهم الله فى هذه الآية الأخيرة كان مس شئ من جسدها محرما لأنه أكثر إثارة للغرائز من النظر، ولما كان الرجل الذى يقوم بتصفيف الشعر لغير زوجة له أو لغير محرم منه إنما يمس جزءاً من جسدها وجب ستره، وحرم الله النظر إليه وبالتالى حرم مسه، وكان هذا العمل محرما على الرجال وكل عمل محرم يكون كسبه محرما، مع أن تحرى الكسب الحلال من الواجبات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ، قال تبارك وتعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [البقرة:١٧٢].

وبالنسبة للحفاوة بالكلاب على النمط الغربى :

سأل سائل عن حكم ذلك فأجاب عن ذلك الدكتور عبد العزيز عزام الأستاذ بجامعة الأزهر، الكلب نجس يجب اجتنابه لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال "**إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا**" ولأحمد ومسلم "**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات،أولاهن بالتراب**" والكلب يحرم اقتناؤه وتربيته لأنه يحرم استعماله إلا لضرورة الصيد أو الحراسة وحيث لا ضرورة تدعو إلى اقتنائه فلا يجوز اتخاذه لنجاسته، ولما روى أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب. فإن كان لحراسة الزرع أو الماشية أو كان يستخدم للصيد فهذا الكلب مأذون فى اتخاذه من جهة الشرع، وأما غير ذلك فلا يجوز، ويدخل فى المباح اتخاذ الكلاب البوليسية المدربة بقصد استعمالها للغرض الأمنى والتعرف على المجرمين لردعهم فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "**من اتخذ كلبا إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ينقص من أجره كل يوم قيراطا**" إذن فلا يجوز الاحتفاظ به بدون حاجة للنهى الوارد فى ذلك، وعليه فلا يجوز تدليلها والإنفاق عليها ببذخ على النمط الغربى .

إباحة زواج الفرند

بالنظر إلى تأثير قيم وعادات المجتمعات الغربية على سلوكيات أبناء المسلمين هناك خاصة بالنسبة للعلاقات المفتوحة بين الجنسين، فقد أباح البعض زواج الأصدقاء، هذا الزواج والذى يقوم على توافر

الأركان الأساسية لعقد الزواج والشروط الشرعية كالشاهدين والمهر وصيغة العقد، وإشهاره ولكن دون اشتراط وجود منزل للزوج، فوجود منزل للزوجة ليس شرطا مهما للزواج، وهذه الفتوى من فوائدها أنها تحول دون علاقات الفتى والفتاة خارج عقد الزواج. (١)

هل يجوز للمرأة المسلمة أن تعمل كوافيرة ؟

ما حكم الشرع فيما يسمى بكوافير السيدات فيما إذا كانت تقوم به سيدة ؟ ويتمثل هذا العمل تصفيف الشعر للمحجبات وغيرهن، وأخذ شعر من الحاجبين والوجه والذقن وعمل الماكياج للعرائس وغير العرائس، وهل المكسب العائد من ذلك حلال أو حرام ؟ .

يجيب عن هذا السؤال الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية الأسبق فيقول: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فإنه يجوز للمرأة أن تعمل فيما يسمى بالكوافير وذلك بتصفيف الشعر للمحجبات، ويأخذ الشعر من الحاجبين بشرط ألا يصل إلى حد التنمص (وهو الإزالة الكاملة لشعر الحاجبين أو ترقيقهما ترقيقاً يخرجهما عن الشكل الطبيعى للحاجبين) وذلك لما روى أن رسول الله ﷺ لعن النامصة والمتنمصة. أما إزالة الشعر عن الوجه والذهن وبقية الجسد فجائز ولا شئ فيه.. ويجوز للمرأة أن تمارس مهمة تزيين الزوجة لزوجها والعرائس لأزواجهن وذلك لما رواه الطبرى أن امرأة أبى اسحاق دخلت على عائشة رضى الله عنها وكانت شابة جميلة يعجبها الجمال فقالت: "المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت رضى الله عنها: "اميطى عنك الأذى ما استطعت" فمثل هذه الأعمال لا مانع من أن تقوم بها المرأة .. وبالنسبة

---

(١) - الأهرام فى ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٣

لتصفيف شعر غير المحجبات فإنه ينبغى على المرأة المسلمة العاملة بالكوافير أن تتجنبه قدر الإمكان، فإن كانت مضطرة لذلك بحيث لا يمكنها الاعتذار عن مثل هذا العمل، فالإثم فى هذه الحالة على التى تصفف شعرها وتخرج به دون حجاب، ولا إثم على التى بهذا العمل ما دامت مضطرة إليه[1].

فتوى : لا يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها :

سألت أخت من تونس: هل يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها حيث إن هذا هو المعتاد فى بلادنا؟

المرأة فى الإسلام إذا بلغت راشدة لها شخصيتها المستقلة مالياً، وهى منذ ولادتها تحتفظ بنسبها إلى أبيها ولا يجوز لها بعد الزواج أن تلغى نسبها الذى ولدت به وتنسب إلى زوجها، فهذا أمر يخالف ما شرعه الله من المحافظة على الأنساب، ولذلك حرم الإسلام التبنى وجعل الزواج المشروع وحده السبيل لاكتساب النسب، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾** .

وأما ما يجرى فى بعض المجتمعات الإسلامية من أن تنسب المرأة بعد زواجها إلى أسرة زوجها فهو تقليد غربى لا يقره الإسلام، وكم فى مجتمعاتنا للأسف من تقاليد وأعراف غربية تحاول أن تبعدنا شيئاً فشيئاً عن هويتنا الإسلامية الأصيلة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون [2].

---

(١) د. أحمد الطيب، الأهرام ٢٠٠٣/٥/١٩م.

(٢) أ.د. محمد الدسوقى ، الأهرام، فى ٢٠٠٤/٤/٦م.

فتوى : التقرير الطبى لا يغنى عن فترة العدة :

هل يجوز عند طلاق المرأة أو وفاة الزوج الاكتفاء بتقرير طبى يفيد بالكشف عليها أنها ليست حاملاً ويستغنى بذلك عن العدة المقررة شرعاً ؟ وما الحكم فى ذلك ؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور عبد الغفار حامد هلال قائلاً: العدة إنما شرعت لحكم أرادها الله تعالى منها أن العدة إلى جانب استبراء الرحم فرصة فى الطلاق الرجعى لعودة الوفاق بين الزوجين، وكذلك فى حال الطلقة البائنة فى غير الطلاق الثلاث للزوج أن يعيدها إلى عصمته بعقد جديد فتعجل انقضاء بمجرد توقيع الكشف الطبى يحرم الزوجين من هذه الفرصة والتقرير الطبى قد يخطئ ويترتب عليه الفساد باختلاط الأنساب وغير ذلك من العواقب الوخيمة وتقدير زمن العدة شرعاً تقدير من لدن حكيم خبير ولا مجال للاجتهاد فيه، فعلماء أصول الفقه يقولون "لا اجتهاد مع النص"[1].

التنكر لأعرافنا حرام أو مكروه :

إن التخلى عن الزى القومى هو فاتحة الكتاب فى انقراض الأمم المجيدة، إذ يتلوه تنازلات تلو الأخرى تدخلهم بعد حين فى عداد الأمم البائدة، إن المرأة السوية تدرك أن حرية المرأة لا بتقصير ثيابها والتخلى عن زيها واستدراجها إلى الإثم ومعصية الرسول، وإنما فى تفكيرها وكمال عقلها، فالحرية بلا حدود منافية لطبيعة المرأة ويقولون بحق إن المرأة إذا كانت تطالب بحريتها فهى تكرهها.

(أ) عبد الغفار هلال، الأهرام فى ٢٠٠٤/٤/٤م .

إن التنكر لأعراف ديننا هدم للشريعة والأخلاق الإسلامية وهو عين الانسلاخ من الدين وحينئذ يكون التقليد حراماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى، ومن علامات الساعة المعروفة عموم الفوضى بين العباد على الأرض، واللامبالاة بالدين، إذ يتلاشى العباد نتيجة زيغ القلوب والأبصار، وهنا يقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام: " **لا تقوم الساعة على أحد يقول الله** "

إذا تفشى مرض الاضمحلال والذوبان، وصارت الأمة المسلمة نسخه كربونية من أمم أخرى وهى فى أوطانها، فإن هذا نذير بالانسلاخ من الإسلام وهم يدعون إليه، وحينئذ فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وهنا يحذر ناصحو الأمة من حياة الزيغ واللامبالاة التى تغشى المتيمين بالتقليد والذين يعبون من الغرب أكثر مما يعبأون بدينهم ونعوذ بالله أن يكون هذا نذير من النذر الأولى . إن سادتنا وكبرائنا وكل المتيمين بالتقليد لو علموا منذ نعومة أظفارهم ما فى أعرافنا من محاسن، سيما إذا علموا أن تلك المحاسن رسمت لنا نصف خريطة العالم الإسلامى وجذبت أقواما ودولاً أقبلوا عليها يزفون، وحينئذ لأضحوا بمفازة من جرثومة التقليد التى تشوه واقع الإسلام فى الريف والحضر والعواصم والنجوع، واستوى فى ذلك المثقف والأمى، والطالب والأستاذ.

ولكن لكل داء دواء يستطب به، وهذا هو ما نعكف عليه فى الفصل الأخير فإليه نصير .